
رواية
ألف ليلة
في الجحيم
محمد المخزنجي
مكرم خلف

ألف ليلة في الجحيم

(رواية)

محمد المخزنجي / مُكرّم خلف

(مصر) / (فلسطين)

فكرة وإخراج

محمد المخزنجي

http://book-juice.com

ألف ليلة في الجحيم

المؤلف :محمد المخزنجي / مُكرّم خلف

نشر في :سبتمبر2016

تصميم الغلاف : مُكرّم خلف

تنسيق داخلى : عصير الكتب للنشر الالكترونى



إهـداء

إلى ذلك الصوت الذي استفزني من داخلي

لا تتركني في بداية الطريق... واصل معي حتى النهاية

بكل الحب والاحترام...أهديك هذا الكتاب

"محمد المخزنجي"

***

إلى تلك الروح الحارسة

المتوغلة في عمق ذاتي... لقد سمعت صوتي

ولبيت النداء...

خذ بيدي... ومعا سنواصل الطريق...

بكل حب واحترام

"مُكرّم خلف

تنويه !

كل شخصيات العمل من العالم السفلي، أي أحداث أو أقوال حدثت هناك .. هي فقط نابعة منهم فقط، ليس لنا تدخل بها...

عالم حقيقي .. من الغيبيات ومن الماديات غير الملموسة...

لذا لا تفكر أن ما تقرأه حدث أو لم يحدث أو سوف...

المهم في كل ذلك أنها حكاية.. قصة.. أو رواية أيّ ما كان اسمها عندكم .. هي لا تمت بأي صلة بالواقع أو المفاهيم البشرية الذي نعيشها .. صلتها كلها تدور في واقع آخر .. بعيداً عنا .. عالم لا نراه مَهْمَا ادعينا .. ولن نراه في واقعنا ..

كل ما ذكر بين السطوريخصه وحده؛ العالم السفلي الناري فقط .

***

مقدمة

كما كل المخلوقات خُلقنا ذكراً وأنثى، قد نكون من عالم الإنس أو من عالم الجن..

أحدنا ناري والأخر طيني لا يهم .. أو ربما عضوان من ذلك العالم الخفي الماسوني،قد نكون قابلنا لوسفير أو إبليس.. ديابوليك .. ديمون .. أو أيّا كان اسمه الذي تعرفه، المهم هنا هو الحقائق التي ستكشف لك من العالم السفلي، عالم قد يؤمن به البعض وقد يعتبره البعض الآخر خرافات وأساطير .. عالم كان قبل خلق الإنسان .. قبله بيوم من أيام ما فوق السموات..عالم ناري .. هُزم في أول معركة على الأرض، سُخّر وسُلسِل تحت قيادة بشريّ في واقعة لن تكرر في تاريخ البشرية مرة أخرى..

حكايات غريبة تلك التي تحدث على الأرض؛ قصص أبطالها البشر؛ وجنودها الخفية أرواحٌ نارية...

لا؛ لا ندّعي أننا رأيناها؛ لكننا نعرفها جيدا...

قد نكون نمتلك حاسة لا تمتلكونها، نعم .. حاسة لا توجد عند البشر .. حتى الجن قد لا يملكون ما نملكه

لا تذهب بخيالك بعيدا؛ لسنا من مخلوقات النور ..

ولا تجهد ذهنك معنا ..

قد نكون جالسين أمامك.. بين السطور التي ستتوغل مخيلتك..

.. دعونا نبدأ الحديث قبل فوات الآوان..

قد لا نجد الأقلام أو الأحبار بعد ذلك..

المعركة قاربت على البدء...

إذا أردتم معرفة ما يجري في العالم السفلي .. فقط كل ما عليك أن تتابع بقية السطور لتتعرف عليهم.

"الشياطين" ... هل استعذت بالله منها ؟ نعم إنّها الشياطين التي تراك الآن، وتسمعك ولا تراها؛ تنتظرك وتتربص بك...تنتظر لحظاتضعفك واحتياجك لسبيل نجاة ...تلك الشياطين التي تخافها وتخشاها؛ سنتعرف على بعضها معا تابعناها في عالمها الخفي الغامض ...

ولا تسل كيف ننقل لك هذه الأحداث .. فنحن لا نريد أن نؤذي من ساعدنا في نقل الأحداث...

لا هدف لنا ولا غاية سوى إمتاعك ..ولا تقلق لبعض الرعب؛ إن خفت فأغمض عينيك قليلا؛ فنحن أيضا لا نقصد إخافتك...

إنها مجرد أحداث ننقلها لك من مصدرها؛ بلا تدخل أو تزييف؛ وقد تتساءل الآن ماذا أستفيد أنا من قراءة هذه الحكايات الغريبة ؟

لا تقلق؛ ستأخذ حكمتك التي تريد في نهاية السطور؛ ويكفيك متعة الاستكشاف...

فقط سلمنا حواسك؛ وتنقل معنا بين عالمين أنت تعيش في أحدهما...

هل استطعنا استثارة عقلك؟فلا مجال للتراجع..

نشُم رائحة أدرينالين في الهواء.

استعد لقلب الصفحة...

*****

(1)

عودة ليليث

في جزيرةٍ نائيةٍ على الأرضِ وفوق أحد محيطاتها، أرضٌ لم تطأها أقدام البشر، ولم تحلق فوقها طائراتهم، ولم ترسو عليها سفنهم...

جزيرةٌ يلفّها الضباب، تضربها الأمطار بقوة، وترتطم الأمواجُ بصخورها المتناثرة بأشكالها الغريبة التي تشبه أغلبها رؤوس الحيوانات والوحوش البرية، صوت الرعد الذي يهدر بغضبٍ متواطئ مع طبيعة الجزيرة التي يلفها الغموض بكل تفاصيلها يصمّ الآذان البشرية لو سمعتها...

وسط الفراغ الأسود والظواهر الطبيعية الغاضبة، خيطٌ أحمر رفيعٌ يخترق الأجواء هابطاً بسرعةٍ شديدةٍ كأنّه نيزكٌ يغيرُ مساره قبل اصطدامه بالمحيط، بنفس السرعة التي لم تتغير ينطلق في خطٍ

مستقيم، يمرّ فوق الماء ويتخطاها متجها نحو أحد الكهوف المنتشرة في الجزيرة، ويشق طريقه داخله دون أن يهدئ من سرعته الكبيرة وفي أقل من ثانية يتوقف عند بقعة داخل أعماق الكهف، ويهبط عمودياًليخترق أرضية الكهف كخط ليزر يشقّ جلدا بشريّا...

ظل يهبط ويشق أعماق الأرض ذلك الشعاع المتوهج، يمر بوديان وجبال وبراكين وعيون مياه في أعماق الأرض لم تستطع عين آدميّ أو آلة من صنعه أن تصل إلى هذا العمق لترى الهياكل العظمية بين جدران كهوفها...

أنهارٌ تمرّ كومضات ، نيرانٌ وحممٌ تنفجرُ من العدم، لفحات ساخنة تزداد كلما هبط الخيط أكثر، ومازال لم يصل إلى قاعها، بعد لحظات قليلة يتوقف الخيط قبل أن يصطدم بقاع أرض تحمل الرقم سبعة... أرضٌ سابعة، سمع عنها البشر لكن لم يروا شيئاً.

توهج الخيط فوقها قليلا وانطلق مجددا في خطوطٍ متعرجة بنفس السرعة التي كان يسير بها، نحو كهفٍ ملكيٍّ أسطوريّ، لايدركه خيال البشر.

نيرانٌ ملتهبةٌ بدرجاتها المختلفة تحيطه،بوابةٌ عملاقة يحرسها الجحافل والمردة،ومر داخله وفي أحد غرفه الملكية الجحيمية التي تحكمهاقوانين عالمٍآخر، عالمٌ خُلق من نارٍ سَموم، قبل أن يكون هناك شيء يدعى "إنسان"...

داخل الغرفةِ الملكية سريرٌ ملكيّ ساحر، من ذهبٍ مشغول بأيدي أمهر الجانن مرصّع بالزمرد والياقوت ولآلِيء وأحجارٍ أخرى لا يمكن وصفها بكلمات...

تجلس عليه أجمل إناث العالم السفلي مقيدةً بأصفادٍ نارية، يتوقف الخيط أمامها ويتبدل ويتموج، ليظهرفي النهاية بهيئةٍشيطانيةٍ

عظيمة، تحيطه النيران و ملامحه تتشكل وتتموج وهو يتحدث بغضب:

- من أنت حتى تتمردي على لوسفير، لماذا تنشرين الفتنةفي مملكتنا، ستنالين أشد العقاب أيتها اللعينة...

ردت عليه بهدوء وعلى وجهها ابتسامة باردة:

مولاي لست أثير المشاكل هنا؛ أنا هنا لمساعدة ملك الجحيم مولاي المبجل لوسفير، وكشف ما يحاكُ من حوله من مؤامرات...

- أيتها اللعينة المتلاعبة، وهل تعتقدين أني ببساطة سأصدقك، أتريني ضعيفا كمن خدعتِهم من رجال البشر...

- إذا لم تصدقني مولاي؛ فاقتلني، لم آتِ إلا لخدمة مولاي سيد ممالك الجحيم .

. أنت لم تأت طواعية، بل أمسك بكِ جحافلي المخلصون، ونعم، سأقتلك وأنهي أسطورتك أيتها الخبيثة، سأحرقك في سابع أبواب الجحيم؛ لتكوني عبرة لمن يعبث بأمن مملكتي...

– هل يفعلها مولاي ويقتلُني حقّا؟ تضحك ثم تكمل ساخرةً:

– ظننت أن مولاي مشتاقٌ لشيطانته، مولاي أنا "ليلث"...

قاطعها صارخاً بصرامة:

– بل أنتِ لعنتها، ولا تحاولي أن تتلاعبي؛ فما أبقيتكِ إلا برغبةٍ مني، وسأنتهي منكِ ذات يوم.

– لكن مولاي، من أنا لأواجه مليكي لوسفير؟ ثم أنّهم لم يقبضوا عليّ بمهارتهم، أنا من أردت ذلك، جئت لأحذر مولاي، سأكشف لك الحقائق، وبعدها افعل ما تشاء مليكي الخالد المبجل.

– أي حقائق تلك التي لا أعرفها؟ أنسيتِ من أكون؟ أنا...

قاطعته ليليث قائلة:

– مولاي لوسفير بن سوميا... الملاك الساقط... حامل النور مخلص البشر من سرمدية الليل... الخالد المبجل حامل المعرفة... الخالد الوحيد على أراضيها السبع... الشيطان الأعظم الملعون...

– حسنا؛ يبدو أن معاشرتكِ للبشر لم تنسِكِ طبيعتك الشيطانية، لكن لا تعتقدي أنك قد تتلاعبين بي أو أن أصدقك في أمر... لكنك ستبقين هنا؛ أسيرة في الجناح الملكي، ستكونين تحت مراقبتي، وأي محاولة للعبث أنت تعرفين غضبي...

ركعت أمامه بخشوعٍ لا يخلوَ من المكر والثقة، قالت بصوتٍ عذبٍ مقنع:

- مولاي، كم يشرفني أن أكون جاريتك المطيعة، سأفعل كل ما يرضي مليكي، ولبعض التشويق فليسمح لي سيدي أن أخبره كل ليلةٍ حكاية...

-هه... وهل تريني ممن ينصتون للحكايات؛ أنا أصنع هذه القصص لا أسمعها، لكن فليكن؛ ولتخبريني كل ليلة شيئا لا أعرفه...

قالها وضحك ضحكة كبرياء شيطانية، قاطعتها ليليث قائلة:

- حسنا مولاي؛ لك ذلك، فلديّ ما يكفي من حكايا البشر الذين عشت بينهم فترة عقوبتي مطرودة من الجحيم...

- وما الذي لا أعرفه عنهم وتعرفينه أنت؟

أجابته بضحكة ماكرة:

- مولاي، هناك الكثير وأقترح أن تبدأ باكتشافه الآن.

تمتم لوسفير بكلماتٍ مبهمة قبل أن يلتفت إلى ليليث التي استطاعت بمكرها ودهائها أن تنال فرصةً من ملك الجحيم بإبقائها في مملكته التي طردت منها منذ قرونٍ سحيقة، بل نالت فرصةً في مكوثها في الجناح الملكيّ، وإن كانت مقيدة.

- حسنا؛ لنرى البداية، لكن تذكري، أني أبقيتك فقط برغبةٍ مني، وبأي لحظة يمكنني إنهاء حياتك السخيفة التي بلا فائدة، أبقيتك لأستمتع قليلا عزيزتي، فحتى ملك الجحيم يشعر بالملل أحيانا، ويحتاج لبعض الإثارة، فهل أنتِ مستعدة لذلك أيتها المتمردة اللعينة؟

عدلت ليليث جلستها وبدأت تحدث مولاها بلهجةٍ مثيرة، وبابتسامة لم تفارق وجهها الشيطاني البشري الجميل:
-بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، مولاي لوسيفير، حامل نور الفجر وملك النار، يا منقذ البشر من سرمدية الليل أيها الملاك...

قاطعها لوسفير بغضب شديد:

-لا تتفوهي بهذا الكلام أيتها اللعينة، أنت تعرفين مهمتك هنا بالتحديد فلا تتدخلي بما لا يعنيكِ، أو ما قد يعرضك للحرق والقتل، لذا فالتزمي حدودك التي تعرفينها ، والآن هيا،أريد قصة لا أعرفها وإلا تعلمين ما هو عقاب

قالت بتلعثم وارتباك:

- دراكولا، سأحدثك عن الكونت دراكولا يا مليكي
- أعرف قصته جيدا، أنسيت أن كل شر لا يكتمل إلا بوجودي؟

أجابته وقد استعادت ثقتها:

- أعلم ذلك؛ ومن لا يعرف دراكولا وقصته، لذا لن أخوض في حياته ونشأته وجرائمه، وقصصه التي يعرفها الكثيرون، وحتى الخفايا

والأسرار؛ لكن هناك أمور وتفاصيل صغيرة قد فاتت مولاي، سأرويها الآن.

هدأت ملامحه وهو يستمع لها مبهوراً بإغوائها وهدوئها، مستسلما لسردها.

-إنها حكاية قديمة جديدة لا تنتهي؛ عن العطش للدماء، لن أخوض فيها كي لا تشعر بالملل؛ فأنت تعلم كل شيء سأحدثك فقط عن لقائي الأخير مع الكونت "فلاد سلاوس دراكولا" وما جرى بيننا من حديث...

قاطعها الملك بدهشة: - هل التقيته حقا؟!

- أووه نعم، بالتأكيد يا مولاي، دعني أكمل لك

في لقائنا الأخير في قصر بران في رومانيا حدثني عن أمور غريبة، لم أستطِع فهمه في البداية؛ فبعد نجاحه في إغواء أتباعه بالمجد والخلود، فوجئتُ بما قاله لي، وسأنقل لك حديثه بالحرف.

توقفت عن الكلام، وطرقعت بإصبعيها الإبهام والوسطى، لتتموج صورة في الفراغ، كشاشةِ عرضٍ ليزرية، في قصرٍ مظلم، يجلس دراكولا ممسكاً كأسا بيده، ويتحدث مثل سكرانٍ منتشٍ من جرعات الدماء التي يشربها:

"لم أتوقع هذه النتيجة أبدا؛ فقد زاد تعطش البشر للدماء، حتى أنني أرى نفسي في كثير منهم"

تابع حديثه بنبره حزن وألم قائلاً :

" لقد فقدت شهيتي للدم من هول ما رأيت؛ فقررت أن أترك المهمةلهم وأنا اكتفيت من هذا العالم، تبا للخلود في عالم أصبح يعجّ بمصاصي الدماء، أنا دراكولا – قالها وهو يقف بعصبية – أنا دراكولا رمز الشر والدموية أصبح الكل ينافسني تبا لهم، اللعنة عليهم..."

كأنه مشهد سينمائي دراميّ متقن، توقفت الشاشة على صورة دراكولا واقفاً وبيده اليسرى كأس من الدم الطازج... نظر الملك باهتمام قائلا:

- دراكولا يترك مهمته، لم أقابله منذ زمن بعيد !

- نعم يا مولاي، وكأنه تضايق مما يحدث؛ فلا أحد بات يهتم بقصصه الدموية؛ العالم كما قال أصبح مليئاً بالشر والدماء، كلها نسخٌ مقلدة عنه؛ ربما أزعجه ذلك لأنّه لم يعد رمزا مميزا للشر، وأنا أعرفه جيدا يحب جذب الانتباه له، ولا يحب المنافسة

- تعرفينه!

- مولاي، ما لا تعرفه أيضا أن دراكولا قبل أن يصبح من أتباعك كنت أنا مربيته وهو في المهد، وأنا من مهدت لك الطريق لاستحواذه، وقد أذقته الدم لأول مرة حين احتضنته بحنان وأذقته قطرة من دمي!

توهجت عينا لوسفير وتمتم:

- إذن أنت من علمه لغة الدم منذ الصغر وسبقتِني إليه، نهض من جانبها وهو ينادي بصوتٍ صارخ :

- " قبقب"...

ارتعدت ليليث من صوته الغاضب وهي تتابع أحد جحافله الخاصين يدخل وينحني أمامه ويحدثه لوسفير وهو يشير ناحيتها: انتبه لهذه الشيطانة المتمردة حتى أعود من مهمتي في الأرض... يشيح بنظره إليها وهو يبتسم:

- أقنعتِني هذه المرة بأسلوبك، جيدة كبداية، أتمني عند عودتي أن أسمع قصة أخرى...

عند انتهاء كلمات لوسفير اختفى في أقل من الفيمتو ثانية من مقاييس البشر.

التفتت ليليث إلى الجحفل قبقب وحدثته وهو لايزال راكعا أمامها:

- لقد ذهب يا قبقب لا تخف، عدل موضعه بكيانه الناري وهو يتأمل ليليث المكبلة أمامه، بنظرات غاضبة يتفحصها ثم بصوتٍ صارخ يحدثها:

- أنا الملك " قبقب" ملك ملوك الأحلام والكوابيس الشيطانية للعالمين السفلي والأرضي، وأحد جحافل مولاي المخلد الثماني عشر المخلصين.

ضحكة صارخة تطلقها ليليث تجعله يتوقف عن الحديث وهي تتفحصه بعينين كالجمر الملتهب، جسدها يتبدل أمامه، تتلوي كأفعى،مزامير تنطلق في الأجواء، أصوات موسيقى كإيقاعات البشر تصدح في الغرفة الملكية، حدقات عينيها تلتف كبئرٍ ناري بلا قاع،

و الملك "قبقب" يقف مسحوراً لا يتحرك...

***

بعد غيابٍ ظهر لوسفير في الغرفة الملكية بهيئةٍ نارية وأجنحة عملاقة، وقد أصابته الدهشة والغضب مما رآه من حالِ خادمه الشيطان "قبقب" الذي بدا مسلوب الإرادة متجمداً كصنمٍ ناري، والغرفة الملكية مملوءة بالطلاسم، وتتمتم ليليث بصوتٍ عميق كأنها تتلو صلواتٍ خاصة، تمهيدا لطقسٍ عظيم يعرفه لوسفير جيدا، كما يعرفه بقية معشر الجن، لكنها تمكنت من السيطرة على "قبقب" بسحرها وفتنتها، تتوقف مزامير ليليث بإشارةٍ من الملك نحوها وتصرخ وتتألم، بينما ينظر بغضب نحو جحفله الخاص صارخاً:

– أغيب لحظات وأعود لأجدها تتلاعب بك، أي ملك أنت؟ أخرج الآن، أنت عديم الفائدة.

يغادر "قبقب" في غمضة عين بعد أن فُكت عنه الطلاسم التي تقيده، يلتفت حينها لوسفير نحو ليليث بعد أن أزاح يده عن اتجاهها صارخاً بغضب:

– ماذا تظنين نفسك فاعلة، هل تعتقدين أني لا أعرف ألاعيبك، وأني لا استطيع التلاعب بعقلك وقراءته؟أنسيتِ من أنا؟

. قبل أن تجيبه كان يقف أمامها ورأسه ملاصق لرأسها وهو يصرخ في وجها:

. أنا لوسفير بن سوميا، أنا الذي تمنى أباه ولبى الإله نداه، أنا من يهابني المرض، أنا الخالد المبجل الذي يسير فوق السحاب."
ترتعد ليليث أمامه وبصوتٍ مرتعش تجيبه:
. لقد استفزني وتحداني؛ قال أنه ملك الملوك يا مولاي...
هدأت ثورة لوسفير من دلال ورخو صوتها الساحر، ابتعد قليلاً عنها، تنهدت بخفه وأكملت حديثها:

–لا تغضب مني مولاي؛ فأنا أعرف مكانتك في هذا العالم، وأنا لم أُخلق إلا لخدمة مولاي العظيم وإرضائه، فاغفر طيشي وتصرفي السيء وأنت أكثر من يعرفني، لا يمكنني مقاومة رغباتي

قالت ذلك وهي راكعة أمام لوسفير بخشوعٍ شديد، وقد ارتخت ذراعاها المكبلتان بالأصفاد النارية، التي لا تمنعها من التحرك حتى مسافةٍ كافية، أصفاد وسلاسل لم يرَ مثلها البشر، كأنها من معدنٍ مصهور، فلا هي صلبة ولا هي لينة، تموجُ بألوانٍ نارية، غير مقفلة بمفاتيح عادية، هي مجرد طلاسم شيطانية لا يمكن كسرها أو فكها إلا بكلمات وأوامر لوسفير، ملك الجحيم والعالم السفلي.

أمرها بالنهوض والجلوس على السرير الملكي وهو يتحرك أمامها جيئةً وذهابا، رافعا حاجبيه بغرور وهو يقول لها:

–على الرغم من عدم اقتناعي الشديد بما قلته قبل أن أذهب، وأيضا رغم إدراكي ما كنتِ تحاولين القيام به هنا لكني سأعطيكِ فرصة أخرى.

– مولاي، أنا...

- لا تبرري ولا تحاولي إيجاد مخرجٍ لك، لازلتِ تذكرين مهمتك، أليس كذلك؟ ولا أعتقد أن لديك ما تخبريني به، عمّ ستحدثيني الليلة؟

اعتدلت ليليث وابتسمت وهي تتقدم نحوه وصوت صرير السلاسل المكبلة بها يزحف وهي تتمايل إليه حتي أوقفتها نهاية السلسة اللهيبية قريباً منه، همس بصوتٍ عذب أقرب للفحيح: "عيشة قنديشة"

اقترب لوسفير من ليليث كأنَّه مسلوب الإرادة؛ مشدودا لفتنتها التي لا تُقاوم، لامس وجهه الذي تحول إلى ملامح بشرية بأجملِ صورها وجهها؛ أنفاسه الشيطانية الحارقة تزيدها فتنةً وغواية... قبلةٌ كادت تُشعِلُ جحيماً في الجحيم؛ انتفض الملكُ معترضا على غوايتها التي كادت تنالُ من عظمته؛ دفعها بقوةٍ لترتميَ على السرير الملكي، خاطبها بغرورمستردا هيبته التي كاد يفقدها بسبب غواية "أنثى"

- "عيشة قنديشة" أعرف هذه االشيطانة الهاربة جيدا، ماذا لديك ؟

- بعال...

قالت هذا الاسم بخُبثٍ وهي ترفع رأسها وتزيل شعرها الذي تناثر على وجهها إثر ارتمائها، وبصوتٍ يصحبه نقيق الضفادع المتكرر مما أثار فضول لوسفير...

وقف يتأملها وهو يحدثها بلهجة يشوبها الحزم والتوتر في آنٍ واحد:

. " بعال" من جحافلي المخلصين الذي كان من... تقاطعه بصوتٍ أشبه بالفحيح الغليظ: " الكاف والنوووون..." يصرخ لوسيفر بغضبٍ شديد قائلاً:

-اخرسي..، لا تتفوهي بما ليس لكِ علم به!

ألا تعلمين أني فقط من يملك تلك المفاتيح بعد... تقاطعه بضحكة ساخرة وهي تتلوى أمامه على السرير الملكي وتغير من هيئتها عدة مرات وتحدثه بصوت أشبه لمواء القطط:

. دعني أدهشك ألا تفي بوعودك وعهودك مولاي؟!
طقطق لوسفير رقبته وأدار لها ظهره، نهضت من مكانها لتقترب من أذنيه وتهمس:

-الكونتيسا عيشة مورسكية البشرية، ليست تلك المسخة عيشة، التي هي من نسل شياطينك، نسل بعال والكونتيسا البشرية.
تحمر عينا لوسفير شرراًمتطايراً، ويلتفت لها يحدثها بسخرية:
– تفضلي أعطني ما لديكِ، ملوحا بيديه إشارة للبدء...
تنطلق المزامير السحرية، تحيطهما النيران من كل جانب بشكلٍ دائري؛ أجواءٌ ساحرة لا يتخيلها عقل بشري، مشهد لا تضاهيه مشاهد القصور الشرقية الأسطورية في حكايات شهرزاد...

بصوتِها العذب وبنعومة تبدأ حديثها:

– كان يا ما كان في إحدى غزوات مولاي مع أحد البشرفي القرن الخامس عشر بتوقيت البشر، مشغولاعن بقعة الأندلس وما يحدثه شياطينك هناك..

كانت هناك امرأة تدعي الكونتيسا عيشة بنت سلطان شفشاون. اجتاح سيبستيان ملك أوروبا تلك البلاد، قتل سلطانها، وشرد أهلها ..

يوقفها هنا لوسفير بإشارة من يده قائلاً بسخرية :

ـ سيبيستيان هذا أنا من تلاعبت به، وقد عاهدني بالدم وجها لوجه...
صمت وهو يتأملها بنظرات الزهو والغرور، يقاطع لحظات زهوه بنفسه صوت فحيحها الرخو ينتشر في الأرجاء النارية حولهما ويتخلل مسامعه:

ـ بربروس.. خانك "بعال" يا مولاي...

قبل أن ينبس بحرفٍ، كان إصبعها على شفتيه، وتبدلت إلى أجمل نساء البشر...

طرقعت بأطراف أصابع يدها الأخرى، لتتخلل النيران المحيطة بهما بلوراتٌ سحرية، تظهر الرمال والسماء، صوتها الفحيحي الساحر مع مزاميرها السمعية والمرئية، وهي تتابع حديثها:

– هربت عيشة في الصحراء من مجازر سيبيستان، يحيطها الظلام، والقمر مكتمل...

تطرقع بأطراف أصابعها مرة أخرى نحو الدائرة النارية، ليظهر "بربروس" فجأة من العدم، على بعد خطواتٍ من "عيشة" التي تصرخ وهي تخبيء وجهها بكفيها :

. أرجوك لا تقتلني ..

يقاطعها بصوتٍ هاديء:

-لا تقلقي، أنا من سيساعدك للثأر من أعدائك،ألا تريدين شرب دماء من قتلوا عائلتك؟

تجيبه سريعاً:

- نعم .. لكن من أنت؟ شيطان رجيم أم ملاك رحيم؟
ـ أنا من سيساعدك في دحر الأعداء وإراقة الدماء، أتريدين ذلك أم لا؟

لمعت عيناها في الظلام ببريق الانتقام، والعطش لدماء أعدائها، لم تفكر كثيرا، فهي في كل الأحوال خاسرة إن لم تقبل عرضه، هزت رأسها بالموافقة، وقالتها:

- نعم أريد ذلك، نعم سأفعل كل ما تريد إن كان ذلك سيساعدني على الانتقام.

- إذن؛ هل تعاهديني بالدم، بدمكِ أنت، لتحققي انتقامك؟
بلا تردد وافقته؛ فأخرج لها سكينا وجرحت يدها لتريق دمها أمامه،

تدعك كفيها وتقبضان على قبضتيّ "بربروس" ، تسيل الدماء بين راحتيهما، فيجذبها لجسده ويحتضنها ويذوبا معا في عناق ملتهب...

بإشارة منها توقف ليليث المشهد، تنظر إلى لوسفير المذهول بما رأى..

تقاطع اندهاشه:

-رأيت مولاي خيانة بعال حين تجسد لعيشة بهيئة بربروس، نعم مولاي، عيشة "جنية المستنقعات" ليست من نسل شيطاني؛ إنما هي نتيجة نزوات أحد أتباعك مع إنسية. تكرر كلامها لاستفزازه ..

– إنسية يا مولاي، إنسية، بعال وعيشة، إنه الحب الذي دفع به لخيانتك من أجل بشرية فانية، تلويث نسلنا...

في ثورة غضب يقوم لوسفير ويقطع كلامها صارخاً ينادي على أحد جحافلة المخلصين: "فاساجو"

حضر فاساجو أمام لوسفير بلمح البصر، منحنيا أمامه:
-خادمك المطيع مولاي..

- اجمع الجحافل والمردة لاجتماع عاجل.

"قالها وعيناه تشتعلان غضبا"

- أمرك مولاي... قالها فاساجو وانصرف بسرعة.

التفت لوسفير ناحية ليليث يحدثها؛ وهي تنظر إليه مبتسمة بخبث ودلال.

. أعرف هذه النظرات، فأنا من يعلم المستور وما داخل العقول.

ضحكت بخبثٍ شديد وهي تطالعه بنظرات دهاء ومكر الثعالب، وبصوتٍ ماكر قالت:

ـ أنت لا تعلم الغيب، تذكر سليمان...

أمسكها في لمح البصر من عنقها بقوة ورفعها في الهواء صارخا:
ـ قلت لك لا تتحدثي في أمور لا تعلمين عنها شيئا...
أفلتها بعدها لتسقط أرضاً، صامتة كامنة في مكانها، ترفع رأسها وتحدثه:

ـ أمرك مولاي الخالد، لكن تذكر اتفاقنا؛ أن أخبرك عن كل ما لا تعلمه.

أنهت العبارة ومزاميرها تتوهج حولهما بنعومة وهدوء.. هدأ قليلا ثم نادى بصوته الساحر الخارج من عالم تملؤه نيران سموم:

ـ "بايامون"

في غمضة عين، كان بايامون حاضرا؛ راكعا أمام مولاه.. يحدثه لوسفير بلغة سحيقة بشرية:

ـ احرس هذه الماكرة جيدا، وإياك أن تفتنك حتى أعود .

ـ اطمئن أيها الملك العظيم؛ فحكمتي تحميني من غوايتها.
قبل أن يغادر لوسفير، أتاه صوتها وهي تحاول مداعبته:
ـ يا ملك الجحيم المبجّل، لا تتأخر؛ ليليث لا تطيقُ انتظارا.
ضحكت برقّة وتابعت مزاميرها الساحرة وصوتها الفحيحي:
ـ لا أضمن ألا يفتنني "بايامون" هذا بعذبِ صوته.
نظر إليها لوسفير بسخرية، كأنّه لم يسمع شيئا...
تركهما وصوت ضحكاتها تجلجل في الجناح الملكي...
ما إن ذهب لوسفير حتى بدأت ليليث تدندن لحنا على مسامع "بايمون" وهي تقول

ـ أسمعني أيها الملك، اسحرني بصوتك العذب..

ياملك المزامير، وارو ظمأ الروح..

حاول بايمون أن يتجاهلها بحكمته وقوته، وقف في ركنٍ بهيئته المهيبة التي تشبه أمراء العصور الوسطى في الأزمنة البشرية، بملامحَ وسيمةٍ هادئة، يكادُ يكون صنما أمام ليليث لا حراك له؛ لكنّها أسمعته لحنا استفزه؛ بصوت يعرفه جيدا...

توهجت عيناه للحظة، ثم تمالك نفسه والتزم الصمت.. لحظات من الصمت تخللها صدى صوتٍ أنثوي يغني بعذوبة ساحرة،صدى ضحكات ليليث الساخرة يجول في مخيلته، يوقف تلك الضحكات صوت بايامون الغاضب:
ـ كفى أيتها اللعينة...

أجابته بصوتها الخبيث الساحر وهي تتلوى كأبهى الأفاعي على أنغام بشرية:

ـ أنا أعرف كل شيء يا ملك شياطين المزامير والإيقاعات البشرية، يا من يهب الشهرة لمن يشتهيها؛ فلا تخجل أيها الحكيم، يا من امتلك سحر الموسيقى..

كم أشعر بالأسف عليك، كيف تفقدك عقلك إنسية ضعيفة.!
تزيد من إيقاعات مزاميرها حوله، تتكرر أمامه، تلتف حوله في دائرة نارية بسرعة وهي تتابع كلماتها

ـ كانت لديك مهمة، لكنك تجاوزت حدودك..

أعلمك البشر كيف تقتل أيها الحكيم بايامون؟!
لم تستطع ليليث إخراجه عن سيطرته؛ رغم ما أثارته في نفسه من غضب...

توقفت عن الدوران حوله وعادت لهيئتها البشرية، لتطلق ضحكتها المعهودة...

***

في تلك الأثناء، وفي مكانٍ مجهولٍ على أرضٍ صحراوية جرداء قاحلة، كأنها مهجورة منذ زمنٍ سحيق، هبط لوسفير، بهيئته

الشيطانية، بأجنحةٍ سوداء عملاقة، جلس القرفصاء على صخرةٍ في تلك البقعة، وقد انضمّ جناحاه ليغطيا كيانه...

أمسكَ قبضةً من التراب بيده وأطبق عليها، جال ببصره في المكان، ثم نظر للسماء، صرخ بصوتٍ مرتفع:

- أمن هذا التراب خلقته؟

نفخ في يده ليتناثر التراب في الهواء، وضحكَ بكبرياء، وأكمل حديثه ناظراً إلى الأرضِ تحت أقدامه...

- لا يعرف أبناؤك أنك ترقد هنا، ذريتك التي تعهدتُ أمام الرب بضلالها، وها أنا أفي بعهودي، أمنّيهم وأحقق أمانيهم، كل ما حرمه ربك عليهم أزيّنه لهم...

اتبعوني واتبعوا سبيلي، ذريّتك ضعيفة يا آدم، وكيف أراد مني الرب أن أسجد لهذا التراب الذي أدوس عليه الآن، كيف أسجد

لمخلوقٍ ضعيف تتلاعب به رغباته الصغيرة، أتذكر تلك الخطيئة الصغيرة التي أنزلتك الأرض، لم يكن صعباً عليّ إيقاعك...

يضخك بغرورٍ ضحكة مدوية...

– ها هم أبناؤك كما وعدت، أجري منهم مجرى الدم، أشاركهم أموالهم وأزواجهم وذرياتهم، و"هو" كان يريدني أن أسجد لك...

لا... لم أسجد وأنا ابن سوميا، ابن النار، حامل العلم والمعرفة، أنا الخالد وأنت فانٍ، وذريتك فانيةً ضعيفة...

أبناؤك هم من يسجدون لي الآن ويبجلوني، ألا تتفق معي أن النهاية قد أوشكت، قريبة، قريبه جدا، معركتنا الكبرى، فناء جنس البشر...

إنهم لا يستحقون هذه الأرض، أغرقوها بالدماء والقتل، انتشرت الرذيلة بينهم كما أردت، سحقا لكم أيها البشر... سحقاً لكم يا أبناء آدم...

يقف على قدميه ويفرد جناحيه في الهواء، ويصرخ بغضبٍ شديد تهتز له الأراضي السبع، وتهرب كل المخلوقات والحيوانات في تلك الأرض، كأنّما هزّها زلزالٌ مدمّر...

– استعدوا أبناء آدم، النهاية قادمة، لن يفيدكم إيمانكم وتمسككم به، تمسكوا بكتبكم المقدسة كما شئتم، حتى باسم الدين ستخربون وتقتلون وتستبيحون الدماء والأعراض والأموال...

يضحك بشدةٍ وجنونٍ مطلق، وكشعاعٍ من لهبٍ ينطلق مبتعداً عن المكان، مخلفاً وراءه عاصفة من الرمال...

***

في الغرفة الملكية، لازالت ليليث تحاول استفزاز بايامون الحكيم، وهو لا يزال صامداً صامتا يخفي غيظاً شديدا، ودّ وقتها لو أنّه يحرقها وينتهي منها...

يدخل لوسفير فجأة كنيزكٍ حارق، تدوي فرقعته في المكان، ثم يتجسد كياناً بشريّا، يقلبُ نظره بين أسيرته و أميره بايمون، ثم يأمره بالانصراف...

بعد إنصراف " بايمون" في لحظة إنتهاء عبارته، ينظر إليها بابتسامة قائلا:

. ما الذي يضحك ملعونتنا ليليث المتمردة ؟

. مولاي، كم اشتقت إليك، أتحب أن أغني لك...

– يبدو أنكِ متحمسة جدا...

تنطلق نغمات تلك الأغنية...

مع انطلاق صوت الموسيقى والأجواء الساحرة المحيطة بهما، تشتعل النيران، تسبح حوريات جنية داخل ألسنة لهبها، تتبدل أشكالهم على هيئة بلورات سحرية تدور داخل نيران الغرفة الجحيمية تعرض

مشهدالفتاة جميلة ممسكةً قيثارتها تعزف لحنا شجيا معروفاً في منتصف القرن العشرين البشري، تغني بصوت عذب..

ينظر لوسفير إلى ليليث:

ـ أعرف هذه الفتاة؛ أرسلت بايمون إليها لإغوائها بالموسيقى لتحقيق الشهرة،أن تصبح من خدامنا البشر؛ هي حقا بارعة، يبدو أنها أجادت قراءة طلاسم بايامون...
-نعم يا مولاي، إنها بارعة و فاتنة "قالتها وأتبعتها بضحكة بشرية رقيقة"

-حسنا.. ما الذي لا أعرفه في هذه القصة؟ وأتمنى أن لا تكذبي أو تحاولي التلاعب بي؛ فأنت تعرفين غضبي...
-مولاي أنا لن أكذب مثلهم..، ستكتشف ذلك يا مبجلنا العظيم.
كما تعلم يا مولاي كانت مهمة بايامون إغواء عازفتنا الجميلة،وحدث ذلك فعلا، لكن الغواية انقلبت..

يلتفت لها ونظرات الريبة على وجهه قائلاً:

-ماذا تقصدين .. إنه بايامون أحد جنودي الأقوياء؛ بل إنه الأكثر حكمة بينهم .

بصوت منخفض لا يخلو من عذوبة ودلال قالت:

. ألم يجرب مولاي إحساس العشق؟

يقاطعها صارخا بحزمٍ:

-لا تتفوهي بهذا الكلام الغبي البشري داخل مملكتي.. وإلا أحرقتك.

-نعم، نعم مولاي، إنه الاحتراق.. الاكتواء بنار ما يسمى "حب.."

تضحك بعذوبةٍ ودلال وهي تتابع:

- ما لنا وهذا الكلام المحرم في مملكتنا..

دعني سيدي الخالد أكمل لك قصة فاتنتنا المغنية، كما ترى هناك؛ معإشارة بأصابعها تظهر المشاهد على أنغام تلك البشرية وهي تتابع حديثها:

- نجح بايامون في إغوائها بالشهرة ووصلت لما تريد.
-نعم وصلت لما تريد وأكثر

قالها لوسفير وأطلق ضحكة مدوية ..

تقاطع ضحكته بحركة من إصبعها ليتمثل المشهد من جديد أمامهما على البلورات المحيطة بهما يشاهد تلك البشرية، تجلس في بيتها منتظرة قدوم عشيقها، مهيأة نفسها بأبهى حلة، مشعلة بعض الشموع الحمراء.

عند وصول العشيق المنتظر، تستقبله بالأحضان والقبلات، تغني له، تعزف بقيثارة ينقصها وتر.. يمتليء الجو عشقا، تقترب منه وتحضتنه من الخلف بلهفة، ناولته كأس نبيذه.. في هذه اللحظات،

في شبه غيبوبته العشقية، منتشيا بعطرها؛ تخرج من جيبها وترا، تلفه حول رقبته بلا شعور منه، وتشد الوتر بقوة..

يسقط الكأس أرضا، تتتسع عيناه وهو يخرج آخر أنفاسه.. توقف ليليث العرض بطرقعة من اصابعها، وتتنهد قائلة:
-المسكين، كان يحبها، لم يكن يعرف من ينافسه في عشقها.
يصرخ بغضب لوسفير ملوحا بيديه:

-ماذا تقصدين ليليث، لا تقولي أن بايامون...

تقاطعه وهي تتلوى كأفعى في جسد بشري قائلة بصوتها المفحوح
- نعم مولاي؛ إنه "بايامون.."

هل تعتقد أن فتاة مثلها تستطيع أن تقتل، لقد تلبسها خادمك المخلص، خالف أوامرك من أجل رغبات بشرية، لم يترك الخطيئة ونسلها البشري ينتشر، أعمته الغيرة وانساق وراء رغبة بشرية...

تتقدم نحوه على أنغام مزاميرها وتتابع:

- يبدو أن البشر يعلمون أتباعك أموراً ستفسدهم...

تضحك ليليث ضحكة طويلة لم يقطعها إلا صوت لوسفير الرعدي..

-أيتها الكاذبة المخادعة، اصمتي..

-مولاي.. أتشك بي؟ أنا أكثر ولاءً من أتباعك الضعفاء. انظر إليها، نهايتها كانت في مصح عقلي بعد أن قتلت ثلاثة من عشاقها..

وقلت لك من قتلهم؛ إنه خادمك العاشق يا مولاي، ولا أخفي عليك، مازال يتردد عليها لزيارتها هناك كلما اشتاق إليها... صمتت قليلا وصمت لوسفير يزفر غضبا، ثم تابعت بكل برود:

-مولاي، قد يكون من تنتظر ظهوره هائماً بين البشر الآن، بسبب نزوات جحافلك المبجلين...

بصمتٍ جلس لوسفير يفكر بما قالته ليليث وقد بدأت بعض الشكوك تلعب في رأسه، قاطعت ليليث هذا الصمت:

-بم يفكر مولاي المبجل؟

- لا شأن لك بم أفكر؛ تذكري أنك هنا تحت رحمتي، وأيّ تلاعب منك لهعقاب شديد...

ثوانٍ من الصمت، ثمّ نادى بصوته المهيب وبلهجةٍ قوية على أحد أمرائه:

- "فارجاااس"

وأشار لها بسبابته متابعا:

– لا تحاولي العبث معه؛ ذلك لن يجديك نفعاً، وسوف تندمين على أيّ محاولة...

يظهر " فارجاس"أمامه، وهي تقاطعه بكلماتٍ تميل إلى السخرية:
-أوه مولاي .. ومن يستطيع التلاعب بأتباعك! أنا أضعف من ذلك بكثير،أعلمُ أن أميرك المخلص فارجاس ملك المعرفة واللغات كلها...

كان " فارجاس "حاضراً راكعاً في منتصف الغرفة بكيانه الناري بملامح بشرية، تبدو عليه الحكمة والقوة معا،تحيطه كائنات أسطورية تدور حوله بأشكالها النارية..
تتابع حديثها وتشير نحوه:

. من أنا لأجاريه!

ينظر لوسفير متجاهلاً كلماتها ويشير لجحفله الخاص:
. احرسها جيدا، ولا تفتنك بدهائها..

قال جملته وانصرف...

بنظرات خبيثة تنظر ليليث إلى فارجاس، تضحك ضحكات ناعمة هادئة ..

تتمتم بكلمات لغة سحيقة للبشر:

ـ وسر..معت..رع.. مس هيكا..

تتلوي نحوه بقيودها النارية المكبلة، مزاميرها تنطلق، حياتنارية تظهر من العدم؛ تتشابك حول رأسها، تتلوي ليليث والحيات من فوقها على إيقاعات شيطانية لم تصل لها آذان البشر، تحدثه بسخرية متابعة:

اوزمانديس.. ابريل..مايوخير..

ضحكات شيطانية برائحة دخان تخرج من فارجاس، وهو يصفق بيديه ويقاطع وصلتها المزمارية بصوته الساحر الذي يخترق كيانها:

ـ انتاليوما ..مabاليوجيستو هافلس ايليوس ...

***

– 2 –

جحافل المملكة

في أحد الكهوف المظلمة، سبعة عشر جحفلاًبأشكالٍ نارية، وأجنحة عملاقة يشكلون دائرة، يتوسطها لوسفير، يشير ناحية أحدهم قائلاً:

– " بعال" يا حكيمَ المملكة، ما الذي يحدث بين جحافلنا؟

ما نعلمه للبشر هناك، أينقلبُ علينا بسهولة؟

ينظر لهم بهيئته البشرية التي تختلط معها النيران في مشهد يفوق الخيال.

يتابع مخاطبته لحكيمه غاضبا وباقي جحافله راكعين:
– هذا المجلس لم ينعقد سوى خمس مرات بعد هبوطي من السماء؛لم شملكم بعد ما شتتكم هزيمة آبائكم في أول معركة على

الأرض مع مخلوقات النور، قبل خلق البشر ..
أنا ابن سوميا.. ابن اليوم السادس.

يقولها غاضباً، يركع " بعال" منحنيا بهدوءٍوحكمةيقول:
- الخالد المبجل، ملك ملوك ممالك الجحيم، حاكم مفاتيح أبوابهاالسبعة، مولاي نحن نعلم العهود و...

يوقفه بإشارة من يده لوسفير وهو يلتفت وتفتح له الدائرة النارية.
النيران تتوهج من حوله مع كل خطوة يخطوها..

قدماهتلامسان سطح الماء من تحته، العرش أمامه تحيطه الثعابين ..

عندما صار قريبا من العرش، التفت إليهم حدثهم بهدوء:
- ليليث شيطانة الغواية والذكريات والمعرفة، الملعونة المطرودة...
ينظر بدهاءٍ مبتسما، و ييتابع حديثه:

- حدثتني عن ملوك في مجلسنا المقدس استخدموا هيبتهم وأمراءجحافلهم الذين يسيطرون علي أقصى شمال الأرض البشرية

لنقض عهود المجلس، تلاعبت بهم أهواءهم... قالها وهو ينظر إلى بعال وهو يتابع:

- حب الذات الخطيئة المحرمة الأولى في مملكتنا، عقوبتها الموت، أليس كذلك ملكنا بعال؟

يقف وينحني أمامه:

-نعم مليكنا الأوحد، الموت عاقبة من ينقض عهود مجلسنا المقدس،من قبل قدوم هؤلاء البشر، أبناء اليوم السابع سيدنا المبجل...

صمت لوسفير وهو يفكر بعد انتهاء بعال من كلماته، نظر إليهم قائلاً:

- لم أصدق هرطقات تلك اللعينة، فأنا اثق بأمرائي، خيرة جنود الشياطين، أبناء السلالة النقية؛ إنما أمهلتها لغايةٍ في نفسي،

وسأتخلص منها عندما يحين وقتها، لكن هذا أيضا لا يمنع من التذكير والتحذير... أيها المخلصون...

يقلب نظره بينهم واحداً تلوَ الآخر، خاشعين له منصتين بصمتٍ ووجلٍ ... فجأة يرتفع صوته كإعلانٍ عن حديثٍ مهم:
- إذن؛فلتسمعوا خطتي الجديدة بالنسبة للعالم السفلي والأرضي...

***

في هذه الأثناء وفي تلك الغرفة الملكية حيث ليليث مكبلة تتلوى، تصرخ بفحيح مرعب، تعذبها كلمات "فارجاس" وهو يضحك ساخرا :

- " بيثاوم..ايمثاوم..بيليث..ايهانيووم.."

ضحكاته الساخرة ومزاميره تخترق كيان ليليث،تركع، تتأوه صارخة:

- كفي أيها الملك!

تومض عيناه ككتلة لهب وهو يحدثها بهدوء:

- ليليث، أنت تعبثين مع أمير اللغات السحيقة والطلاسم، ملك الفنون الشيطانية والتعاويذ القاتلة...

يتقدم نحوها وهو يتابع:

- لن تسعفك ذاكرتك المتوارثة و أسطورتك التي أعرفها، روحك بيدي،أملكطلاسم حرقك ... قالها وهو يقهقه بصوت عالٍ. ترفع ليليث رأسها البشرية وتبتسم ابتسامة خبيثة وهي تقول بصوت فحيحي :

أدرك قوتك أيها الملك، ولا أجرؤ على اتهامك بالخيانة، لكنّي أعرفأنّك كنت شاهداً على خيانة جحفلنا المخلص "آمون"مع موتاليس البشري .

تقف وشعرها يغطي وجها وفحيحها يتابع ببطء..

ـ وسر.. معت.. رع.. مري..إمن.. رع..مس..
س..هيكاع..إؤُنو ...
بدأ الغضب يسيطر على "فارجاس.."

في تلك اللحظة صوت فرقعة ضخم يدوي في المكان معلناً وصوللوسفير، يركع فارجاس أمامه، يشير له لوسفيرللانصراف وهو ينظر بهيئته البشرية نظرة ساخرة إلى ليليث المكبلة لحظة انصراف جحفله في طرفة عين قائلاً :
– أعتقد أيتها المخادعة أن نهايتك قد اقتربت؛ فقد بدأت أشعر بالملل منكِ، ومن أكاذيبك، ولا أظن أنكِ قادرة على إقناعي بشيءٍ جديد...

نظرت ليليث إلى لوسفير بمكر وقالت :

-بل لدى ليليتو حكايات تكفي لإدهاش ملكها العظيم.. سكتت قليلا
متأملة ملامح لوسفير وتابعت :

-لم يقل لي مولاي ماذا فعل في الاجتماع

أجابها بسخرية:

-ومنذ متى تتدخلين في أمور لا شأن لك بها..
-مولاي لم أقصد أن أتدخل، فقط أطمئن على ملكنا الخالد العظيم
اقترب منها، أمسك وجهها بقبضته، ضغط عليه وقال لها بصوتهالمسكون بالهيبة والرعب :

. ستعرفين كل شيء في وقته.. كل شيء، وقتما أشاء.
أطال النظر إلى عينيها بغضبٍ يكاد يحرقها...هدأ قليلا، خبا وميض عينيه؛ فترك وجهها، و أدار لها ظهره.

لحظاتٌ من الصمت، تحاول أن تلفت انتباه مولاها، بتنهيدات ضجر، تفكرُ بحكايتها لهذه الليلة..

– حلوى أم خدعة ؟!

قالتها وضحكت بينما ينظر إليها لوسفير ساخرا.. ثم أكملت كلامها:

ـ مولاي ما بك عابسٌ هكذا ؟!

اقتربت منه زاحفةً ببطء، لمست وجهه بيدها؛ فأبعدها، أعادت الكرّة ولمسته؛ أزاح يدها بقوة، أصرت على الاقتراب أكثر لمست وجهه بكلتا يديها، أراد إزاحتها لكنها أمسكتيديه ونظرت إليه قائلةً:

ـ ما به مولاي، ألازال لا يأمنني، أنا مخلصتك ليليث، أنت تعلم يا مولاي تعرف ومتأكد من إخلاصي لك، لكنك ترفض الاعتراف،

لا أعتقد أن مولاي قد ينسى تلك الأيام...
مولاي؛ أعطني فرصتي لأثبت ولائي لك .

. ليليث، أنا لوسفير، ملك الجحيم، وأعرف أعدائي جيداً، شيطانةٌ متلاعبة مثلك لن تخيفني ولن تشكل خطرا على مملكتي ..
-إذاً؛ لمَ لا تقترب، سأحكي لك حكاية الليلة، وحتى لا تغضب لن أتعرض لأحدٍ من جحافلك هذه المرة إنّه الهالووين وسنمرح قليلا مولاي؛ فاستعد للمتعة يا ابن اليوم السادس

***

في قريةٍ صغيرة، استعدّ الأولادُ جيدا للاحتفال بعيد ليلة القديسين،فرحين بأقنعتهم وملابسهم التنكرية، ذلك الطفلُ الوحيد – تعرفه أنت مولاي– أراد أن يشاركهم اللعب، يتجول معهم على بيوت القرية، ليحصل على الحلوى، لكن كيف لولدٍ ضعيفٍ أعرج

أن يشاركَ أطفالاً أقوياء منطلقين ..

قاطعها لوسفير بلهجة استهجان:

- ما بك يا شيطانتي، هل نفدت قصصك؟..

همت أن تقاطعه، لكنه تابع حديثه:

- أعرف هذا الأعرج، أو الذي كان أعرجا، قابلته عندما كان في العشرين من عمره، لم يكن...

تقاطع كلماته صوت مزامير بإيقاعات روحية قادمة من عصور سحيقة،صوتها يتسلل بنعومة، بلغة لاتينية قديمة تتحدث ليليث:

- مولاي أراك صرت عجولاًمثل البشر، فهل تتركني أكمل لك؟

بإشارة من يديه تتابع ليليث الكلام مع الأجواء المزمارية وإيقاعاتها الساحرة:

. لقد قرر البقاء وحيداً في البيت الذي لا يبعُد كثيراً عن المقبرة؛ ليشاهدفيلماً مخيفاً مع جده العجوز الذي يرعاه بعد وفاة والديه.

تنهدت ليليث قبل أن تكمل حكايتها وقالت بدلال :

– مولاي .. ألا يحق لي في هذا العيد ان أطلب شيئا ؟

– ماذا تريدين؟

– لم لا تفُك قيودي؟ أنت تعلم اني لا أستطيع الهرب من هنا ..

– هل تريدين اقناعي أيتها الخبيثة أن هذه القيود تضايقك، وتمنعك من التلاعب؛ أنتِ جيدة هكذا..

– حسنا مولاي؛ انسَ الفكرة، دعني أكمل...

ـ اجتمع الأطفالُ حسبما اتفقوا أمام منزل أحدهم، كلٌ منهم يستعرض

شخصيته المخيفة التي ارتداها.. بينهم كان هناك طفلا بزيٍّ غريب لم يعرفوه...

سألوه من أنت ؟ لم يجبهم، بل قال لهم أنه سيكشف نفسه في النهاية، وقرروا الانطلاق في جولتهم ليرعبوا أهل القرية، ويحصلوا على الحلوى ..

أوقفهم الصبيُّ الغريب الذي بدا من طولهوصوته أنه أصغرهم، وقال لهم:

- عندي لكم لعبة أفضل.

. ما هي؟ ردوا بصوتٍ واحد يملؤه الحماس.

- سنتسابق حتى نصل إلى المقبرة.

فزِع الأطفال قائلين:

- لا يمكن أن نذهب إلى المقبرة؛ فالأرواح تتجول في هذا اليوم.

- لا تخافوا؛ لقد كنت هناك قبل قليل، إنهم يكذبون عليكم، فقد وجدتُ هناك جبلاً من الحلوى والهدايا، لكن الساحرة الطيبة قالت لي أن أتقاسمها معكم.

- هل أنت متأكد؟.. قالها أحد الأولاد و نظروا إلى بعضهمالبعض،لمعت في أعينهم أكوام الحلوى ..

هنا صمتت ليليث، وعدلت جلستها، طرقعت بإصبعيها؛ ليتجسد المشهدُ أمامهما، ليلةٌ من ليالي أكتوبر الباردة، ظلامٌ تتخلله المصابيح التي صنعها أهل القرية من اليقطين، بيوتٌ متقاربة وأجواءٌ احتفاليةٍ حميمة...

مجموعة من الأطفال يركضون وراء ولدٍغريب محاوليين مجاراة سرعتهحتى وصلوا إلى باب المقبرة وتوقفوا؛ حيث انتابهم الخوف.

توقف الغريب قائلا :

- هيا إن الحلوى في الداخل.

ترددوا في الدخول، و ما إن دخل ذلك الصبيّ البدين حتى تبعه بقيةُ الأطفال ..

تبعوه بخطواتٍ عاثرة في الظلام حتى وصلوا إلى منتصف المقبرة.. توقف؛ فتوقفوا، صامتين مترقبين...

رياحٌ تهب تحرك الأشجار بتواطؤ مع أجواء الرعب السائدة في هذا العيد، أصواتٌ غريبة تتمازج مع صوت حفيف الشجر، تتطاير الأوراق الجافة عن الأرض...

يقف الولد أمامهم ، ينزع رداءه وقناعه.

يصرخ الأطفال:

- إنّه الأعرج ..إنه الأعرج

لقد خدعتنا كيف استطعت الركض بهذه السرعة ؟ تظهر من العدم، مع زوبعةٍ من أوراقٍ تتطاير امرأة لم يتبينوا ملامحها في الظلام..

بدأ الأطفال بالصراخ والهرولة بهلع، ذهب كلٌ منهم باتجاه.. وما هي إلا ثوانٍ حتى عمّ الهدوء.. وطافت أرواحُ الأولاد في المقبرة . الأعرج ينظرُ من مكانه نحو نافذة بيته التي غطى زجاجها الدماء ثم ينام وحيدا بجانب قبريّ والديه.

توقف ليليث المشهد، ثم تطرقع بإصبعها ليظهر على البلورات مشهدٌ آخر تظهرُ فيه في بيت الطفلِالأعرج حيثُ أغوته بالحلوى، و بأنه سيكون قوياً .. وتختفي عاهته.. وليكون ذا شأنٍ في هذا العالم، عليه تنفيذ العهد لتحقيق هذا؛

فأمسك سكينا، نحر به جده وهو نائم والدماء تلطخه،خرج ممسكا يدَ ليليث.

طرقعة أخرى تختفي البلورات وتعود الغرفة الملكية لهيئتها من جديد وليليث مكبلة بالسلاسل الملتهبة على سرير ضخم دائري، أطرافه تحيطها النيران..

هي مازالت تتلوى على أنغام مزاميرها الساحرة،ولوسفير يتأملها من أعلى إلى أسفل بهيئته البشرية فائقة الجمال، يساوره الشك من داخله، ويظهر لا مبالاته أمامها... يقطع صوت مزاميرها وحركاتها صوته الغليظ الغاضب:

– ليليث لا تعبثي معي .. أصغر شياطيني المراهقة تستطيع أن تدفع أي بشري للقتل وفعل الخطيئة..

قاطعته ليليث وهي تخرج من الدائرة النارية وصوت صرير سلاسلقيودها يصاحب خطواتها وهي تتقدم ببطء كعارضة أزياء بشرية محترفة:

ـ مولاي هذا الطفل عاهدني وقد أوفيت بوعدي ...

إنه الآن ...

قالت جملتها الأخيرة بعد أن أصبحت أمامه وتحيط ذراعيها حول عنقه وتهمس ..انتفض لوسفير من وقع الاسم على مسامعه ودفعها بكلتا يديهللوراء بقوة وهو يتحدث صارخا بغضب:

– ليليث إغواؤك وأساليبك أحفظهم جيدا.

أنت تثرثرين بلا أدلة، فكيف أصدق ما تقولينه؛ لا تظني أني لا استطيع قراءة طلاسمك وإنهاء أسطورتك..

يصمت قليلا ويتطلع لها وهي على الأرض المتوهجة بجمراتها المشتعلةفي الغرفة من أثر الدفعة، يتأملها بهدوء ويكمل:

ـ أنا رحيم بك يا ليليث، أنا أحمل عبئا لا يتحمله مخلوق.. أنت لا تعلمين شيئا، فقط تحفظين الماضي السحيق؛ كالبشر يقرأون ولا يتعلمون، أنت وظيفتك الشيطانية هي التكرار وحفظ الماضي ..

قالها وقهقهته تملأ الأرجاء؛ لحظات وأوقف ضحكاته نهوض ليليث وهي تتقدم نحوه:

جيد أنك تعرف من أكون مولاي، وأعلُم ما كان قبل مولدك؛ والذي لا يعرفه أحد غيري، كيف رفعت للسماء؛ وكيف طردت... أوقفتها إشارة من لوسفير وتوهج عينيه بالغضب لثوان، ثم عودة ملامحه لطبيعتها وهو يتقدم نحوها ويحيطها من خصرها ويشدها نحوه حتى أصبح وجهها أمامه و اقترب وهو يهمس لها:

- إذن دعيني أخبرك معلومات سرية حول الخلق...

أنهى عبارته وهو يضع كفه على عينيها لبرهة، وعندما أزاح كفه، اختفت الغرفة من حولهما...

سماءٌ سوداء تحيطهما ، نجوم من بعيد تتلألأ، وتظهر أمامهما شجرة كبيرة، يتدلى من أغصانها التفاح، تلتف حول خصريهما أوراق التوت، الكرة الأرضية تدور تحتهما، وقفت ليليث مندهشةولوسفير يشير إلي شكل الأرض...

-أنا من رأى ما يدور فوق السماوات، شاهدت النعيم والعقاب

-قالها وهو يشير إلى فوق رأسيهما - و تابع بهدوء :

ـ إن الخالق يحب فقط أن يراقب، خلق الأرض، ثم أسكننا نحن فيها،أعطانا العقل والتفكير، النفس والأهواء وحقق أمنياتنا، لكن وضع القوانين والأحكام؛ إنها مهزلة كل العصور والأزمنة !

- قالها وهو يلوح بغضب بكلتا يدييه—

وأكمل حديثه:

ـ انظر لكن لا تكثر؛ افعل هذا ولا تفعل ذاك ... وهو يراقب فقط ...

هذا حدث أيضا عند خلق البشر، قوانين وعقوبات، لم أرفض قوته وسلطته وحكمه علي..

رضيت بالحكم بالرغم من كل شيء.

تنهد قليلا وهو يطالع ليليث الصامتة، تنصت باندهاش وهو يتابع: أصبحت بصير الإنسان.. أنا لوسفير الشيطاني الإنساني .. قالها بسخرية صارخه وهو يتأملها بنظرة جنونية

– الإنسان أحبني؛ رحمتي به فاقت إيمانه؛ أنا لا أضع له القوانين..عاشرت أحاسيس جميع البشر، عرفت نقاط قوتهم وضعفهم، ولم أحاكمهم..

هل يستطيع أحد أن ينكر أن آخر عشرين قرناً من القرون البشرية كانت تحت سيطرتي!

صمتٌ خيم الفضاء الذي يحيطهما لثوانٍ قليلة... ثم طرقعة من أصابع لوسفير ليعودا إلى الغرفة مرة أخرى وهو يشير لليليث قائلا:

-ليس أنت فقط من يجيد الطرقعة، ومعرفة الأسرار الدفينة، ابتسم لها ابتسامة خبث وأكمل:

-أتمنى عند عودتي أن تزيدي إثارتي، واحذري فصبري قد أوشك على النفاذ.

همت أن تقاطعة بدلالٍ وخبثٍ كعادتها؛ لكن صوت لوسفير القوي يوقفها وهو ينادي بصوته : " فارجاس... "

***

عند منتصف النهار، في إحدى الصحاري العربية، شق السماء شيئ لا تستطيع تحديد شكله، شكل أسطواني متوهج رغم سطوع الشمس في المنطقة الخالية، يمر سريعا ويصطدم بأحد الجبال ويختفي ...

تحت ذلك الجبل، وعلى الرمال وقف رجل في منتصف الثلاثينات، بشعر ناعم طويل، وجسم رياضي مثاليّ، نظارة شمس تغطي وجهه...

وقف يعدّل بدلته السوداء الرسمية وهو يتمتم:

- كم أكره التجسد على شكل بشر؛ أكره رائحتهم وملابسهم... قالها وهو يتحرك وينظر أمامه إلى أطراف تلك المدينة العربية وهو يحدث نفسه:

- استعدوا اليوم أيها البشر، مجزرة ستنفذونها بأيديكم، ولا مفر منها ...

ضحكة عالية صاحبت آخر كلماته، وأتبعها صفير بنغمة أغنية شهيرة في سلسلة فريدي كروجر المرعبة في السينما الأمريكية، ثم أكمل غنائه على نفس النغمة:

"لوسفير قادم..... 1 .. 2 .. 3 .. 4 .. 5 ..6 إيمانكم لن يفيدكم ..."

ضحكات عالية تصدر منه وهو يتابع سيره نحو المدينة، تلفت حوله قليلا وتابع خطواته وهو يتحدث بسخريه بصوتٍ مرتفع :

- أعلم أنكم حولي؛ أراكم، أسمع همسكم يا مخلوقات النور... "هو" يعلم؛ أخبرتوه أم لم تخبروه؛ صدقوني لن توقفوا المجزرة...

قهقهات عالية تملأ الأرجاء لثوانٍ قليلة بعد نهاية كلماته، ويتابع السيروهو يصفر صفيره المرعب حتى يتوقف أمام أطراف المدينة يطقطق عنقهويشبك أصابعه، يطقطقها بصوت مسموع، يخلع نظارته ويتوجه نحو هدفه وهو يبتسم ابتسامة شيطانية...

***

وقف " فارجاس " بهيئة بشرية ؛رجلٌ أبيض طويل مفتولالجسد، بشعرٍ أبيض طويل، ولحيةٍ بيضاءَ طويلةٍ، تماماً كالعجوز الحكيم في سلسلة هاري بوتر؛ لكن بدل العصا، يحمل شوكةتلمعُ من معدنها المصقول الذي لم تصل إليه الأيادي البشرية ...

ظل يتأمل ليليث من بعيدٍ بنظراتٍ حادة ، تقدم نحوها بخطواتٍ ثابتة، مزاميرٌ بإيقاعاتٍ غربيةٍ تشبه أغاني الروك الصاخبة في عالم البشر، أحنت قامتها بزاوية قائمة كوضع الركوع في الصلاة مع صوت خطواته و مزاميره، وعندما صار أمامها؛ حركت رأسها بحركاتٍ دائريةٍ سريعة؛شعرها صار يلتف كالمروحة أمام وجه " فارجاس " الذي ابتسم وهو يتحدث:

- هل أعجبتك موسيقاي ؟ نعم ... تتخلل الجسد والعقل؛فاحذري أيتها الملعونة؛ فقد أستحوذ عليك وأتملكك في تلك اللحظة، قهقهة

عالية يصدرها الجحفل؛ يوقفها توقف تلك الحركة الصادرة من ليليث،ترفع رأسها نحوه وشعرها يغطي وجهها بالكامل، فحيحٌ يصدر مع إيقاعات المزامير الصاخبة والغرفة تتغير وتمر حروف هيروغليفية في الغرفة كشهبٍ تتطاير في الفضاء من حولهما، أهراماتٌ تتجسد...

وصوتها يصاحب تلك الأحداث بفحيحٍ كمئة أفعى تنازع الموت:

- الروح الحية لآتون ... آمون رع ... أخناتون...

ضحكة صارخة بنكهة السخرية يطلقها " فارجاس "؛ توقف فحيح ليليث، تعدل من وضعها وتقف منتصبة وتُظهر ملامح وجهها بأناملها وتتابع:

- لا تسخر فما أعرفه سيدهشك... أنا لا أقصد آمون من كان يعبده البشر قديما؛آمون الذي كنت تحت قيادته فارجاس، آمون الكئيب أمير نشر العداوة ، ملك الحروب وجعل الدماء تسيل بين البشر...

نعيق غربان كطنين يملأ المكان يغطي على مزامير فارجاس ،يرفع يده الممسكة بالشوكه عاليا لثانية ثم يدقها بقوة على الأرض؛ فيتوقف النعيق، وتعود أجواء الغرفة الى طبيعتها، ويعمّ الصمتُ المكان...

***

في أحد الميادين الشهيرة في ذلك البلد العربي على كوكب الأرض، وقف لوسفير بهيئته البشرية وأمامه رجلٌ بشريٌّ ذو لحيةٍ سوداء طويلة، فوق سطح أحد الأبنية العالية المتواجدة على أطراف الميدان...
يرفع لوسفير يده التي تحمل بندقية قناصة حديثة الطراز، يمد ذراعه ويعطيها لذلك الرجل وهو يحدثه:
- هذه لك ... حجزت لك شقة في تلك البناية، الدور الأخير ملائم للمهمة . قالها وهو يخرج مفاتيحَ من جيب بنطاله، يعطي الرجل المفاتيح وحقيبة سوداء صغيرة كانت على الأرض وهو يتابع كلامه للرجل الصامت أمامه:

– وهذا المبلغ بالدولار ولك مثله عند الانتهاء من المهمة، لا تنسى عندما ترى الدخان كثيفاً في الميدان؛ ستكون هذه إشارة البدء...

هز الرجل رأسه إيماءً بالسمع والطاعة، وأخذ البندقية وبقية الأشياء وقال:

ـ جزاك الله خيراً، أنت ومن يساعدنا على كسر ذلك الطغيان.

ابتسم لوسفير وأشار له بالانصراف...

ظل يتابع خطوات انصراف الرجل حتى ابتلعه الدرج هبوطا إلى شقته المأجورة؛ رفع لوسفير رأسه للسماء وهو يطالع مغيب الشمسوالسحب تتحرك ومائلة للغيوم، قطرات من المطر تتساقط، ابتسامة سخرية ترتسم على وجه لوسفير وهو يطالع السماء ويتمتم:

– يريد ان أشكرك يا خالقي، ستسيل الدماء اليوم بأيديهم ..

تزداد حدة صوته وترتفع وتيرته وهو يتابع:

– ألم تكن تلك خطيئتنا نحن قبلهم، هل هؤلاء هم من فضلتهم عن جنسنا أبناء اليوم السادس، نحن من منحتنا المعرفة ...

لن أفعل شيئاً بيدي؛ هم من سيفعلون، وأنت ستراقبهم مثلي...

يصمت قليلا، ينزل رأسه وهو ينظر إلى الميدان المليء بالبشر وتحيطه قوات الأمن منعا لفوضى التظاهر، يزداد غضبه مع تزايد قطرات المطر والغيوم التي أصبحت تغطي الشمس، وأوشك الليل على احتلال السماء.

يتنهد وهو يتابع كماته:

ـ سنرى من سينقذكم اليوم ـ قالها ثمصرخ مناديا:

ـ " جعاب"

***

عندما لامست الشوكة التي يحملها " فارجاس " الأرض توقف نعيق الغربان و لاذ المكان بالصمت،تصفيق مستمر يقطع الهدوء المخيم على المكان وفحيح ليليث يتوغل في الهواء كذبذبات موجية لكنها قادمة من العالم السفلي:

– قوة لا يستهان بها أيها الملك، يا من تملك لغة الطيور وجميع مفاتيح المخلوقات ... نحن نستقي العلم منك...

قالتها وأوقفت تصفيقها، وانحنت أمامه بأسلوب التحية عند البشر، وهي تشير بأناملها الرقيقة أمامه.

ـ ملعونة ـ قالها فارجاس ـ ومن الجيد أنك تعرفين قدر نفسك .. أنا الجحفل المخلص لمليكنا المبجل، الخيانة لفظ بشري ليس من صفاتي ..

ضحكات سخرية تصدر من ليليث وهي تعدل من وقفتها وتتحرك من مكانها وتتقدم نحوه وسلاسلها تتشكل على هيئة حيات مشتعلة، وبأصوات فحيح كأنها تهمس:

ـ مواتاليس البشري لماذا انتصر وقبل المعاهدة، أليس آمون من كان يستحوذه، وأوامر لوسفير هي دحر رمسيس...

يقاطعها فارغاس بحزم:

ـ ومن أنتِ لتعرفي ما هي الأوامر، أتعتقدين أن تناسخ الذاكرة قد يفيدك .. أنت واهمة عزيزتي الملعونة.

ـ مع ..رع ..رمسيس ..سي لا اسيروس...

قهقة عالية من فارجاس تقطع كلماتها الصادرة بفحيح يرهب، ويسكتها بإشارة من يديه وهو يتحدث ومزاميره الصاخبة تبدأ إيقاعتها ولحنها الحزين يملأ المكان:

ـ ترددين دائما الكلمات، لا تفهمين شيئا .. لن تتمكني بألاعيبك أن تثيري الفتنة بين جحافل مبجلنا الخالد وبينه..

حاولت أن تجعله يصمت بمزاميرها؛ لكن توهج عينيه وذلك الطنين المصاحب بعواء ألف ذئب في نفس الوقت يقتحم عقلها وصوت فحيح غليظ يتخلل مسامعها، يجعلها تمسك رأسها بكفيها وتصرخ وهي تتلوى من الألم ولا تستطيع أن تدفع ذلك الصوت من رأسها:

ـ حنت تاووي .. آ – با – رى – شون .. آ – بار – يي – سى – يم...

اطلبي الرحمة .. لا تنسي أن معي صك مباشر بإنهاء أسطورتك

ضحكات عالية تملأ الأرجاء وليليث على الأرض المتوهجة بجمرات نيرانها تصرخ عاليا بفحيح مرعب...

بعد أن صرخ لوسفير باسم "جعاب" بدأت السماء تصطبغ بلون الليل، تتزايد الأمطار، والبرق يضرب السماء، وهدير الرعد يدوي في الهواء...

تكونت هالات حمراء في السماء لا تُرى بالعين البشرية، تحتاج حاسةً لا يملكها إلا لوسفير، الذي وقف يشاهد تقدم تلك الهالات حتى أصبحتأمامه، يسير خيط رفيع على شكل دخان ويخرج من وسط الهالة وحشٌ خرافي لم تصل مخيلة أكبر كُتاب السينما العالمية في وصفه ، تقدم حتى صار أمام لوسفير تماما؛ خر ساجدا وهو يتكلم بصوت غليظ مجسم:

ـ جيعاب ومردته وجيوش جحافلك جاهزون مليكنا الخالد.

أشار لوسفير لجحفله ناحية الميدان وهو يتحدث بصرامة:

ـ أتشُم رائحة الكراهية والحقد؟ إنهم جاهزون...

يشير إليه ليقف، ويتابع حديثه عند اكتمال نهوض " جيعاب" :

ـ هيا يا أمير الكراهية، يا من يجيد التلاعب في وقت الغضب البشري،هاهم لك أنت وجيشك، لا تتدخلوا، فقط أثيروا أحاسيسهم...

قالها وهو يعطي إشارة بدء الهجوم و يشير ناحية الميدان المكتظ بالبشر وقوات الأمن، وطائرات الهيلوكبترالتي تحوم في السماء...

لو امتلك البشر حاسة تمكنهم من رؤية ذلك المشهد، لما تركوا نفوسهم ومشاعرهم تتحكم بهم، فبعد إعطاء لوسفير إشارته خرج من الهالة الحمراء من فوق البناية التي يقف عليها آلاف من الحيوانات والأشكالالأسطورية التي لم يرَ الإنسان مثلها...

تحركوا خلف قائدهم " جيعاب" كشهبٍ تخترق السماء لا تراها العين أو حتى الأجهزة التي تقيس الإشعاعات...

تقدموا بسرعةٍ كبيرة، جزءٌ تحرك نحو الجموع والجزء الآخر نحو قوات الأمن، تخللوا أجسادهم، جميع فتحاتهم في مشهدٍ يعجز عن تجسيده أكبر مخرجي السينما الهوليودية ...

في تلك اللحظة بدأ أحد البشر من الجموع بالصراخ بغضب:

ـ إلى متى الذل .. إلى متى سنبقى عبيدا ...

" عيش ـ حرية ـ عدالة إجتماعية " وكأنه أشعل فتيلا سريع الاشتعال ...

بدأت الجموع بالهتاف والتقدم نحو القوات الأمنية، ينطلق الغاز المسيل للدموع و يملأ المكان، يسقط البعض...

تزداد كثافته الدخان في قلب الميدان، تصرخ الجماهير وتتقدم وسط الضباب الذي سببه الدخان...

وهنا تنطلق رصاصة من أحد نوافذ نفس البناية التي يقف عليها لوسفير، تخترق الهواء في سرعة رهيبة؛ تصيب الهدف؛ليسقط أحد البشر من الجموع المحتشدة وسط صرخاتهم...

" يضربون بالرصاص الحيّ... شهيد... "

وتواصلت صيحات الغضب مع سقوط شخص آخر، لتتوتر الأجواء أكثر، و يتشابك المتظاهرون مع قوات الأمن ...

تراشق بزجاجات البنزين المشتعلة، وطلقات نارية تخرج بالمئات بشكلٍ متواصل لا يتوقف، تسيل الدماء على الأرض وتختلط بالأمطار التى تهطل بقوة، وتتعالى الصرخات في مجزرةٍ حقيقية بين البشر أنفسهم، لا تفرق بين صغيرهم وكبيرهم، أو بين رجالٍ ونساء...

مجزرة مجنونة اختلطت فيها الدماء وتناثرت الأجساد على الأرض هباءً...

من فوق سطح البناية وقف لوسفير مبتسماً ابتسامة نصر وهو يلوّح بيديه كأنه قائد أوركسترا مع زخات المطر ولمع البرق...

تزداد ابتسامته وهو يرفع رأسه للسماء :

ـ هل هطول الأمطار مباركة لي أم لهم؟!

***

لازالت ليليث تتلوى على الأرض من الألم، جسدها يشتعل وهى تصرخ:

ـ الرحمة فارجااس...

يضحك فارجاس ساخراً و يقول:

ـ "الرحمة" كلمة تثير غضب مولاي الخالد، و ما يغضبه يغضبني...

ضحكات عالية يصاحبها عواء مرعب، وليليث تمسك رأسها بكلتا يديها محاولةً أن تمنع ذلك الطنين والطلاسم التي تترد في عقلها...

فجأة؛يلمع ضوءٌ شديد في منتصف الغرفة ، يخرج لوسفير من العدم بهيئته التي كان عليها في العالم البشري ، ملابسة السوداء الرسمية مبتلة، ينزع نظارته الشمسية ويلقيها في الهواء؛ فيبتلعها في لحظة وتختفي...

يتأمل ليليث على الأرض، وفارجاس الذي توقف عن وصلة التعذيب وركع أمام مولاه الخالد الذي ارتسمت على ملامحة ابتسامه وهو يوجه حديثه الى جحفله المخلص ونظراته تتأمل ليليث بشفقة:ممزوجة بالسخرية...

ـ هل أزعجتك لهذة الدرجة ؟

قبل أن يجيب فارغاس؛ أشارة له لوسفير بأن يتوقف وهو يتابع:

ـ اتركنا الآن ... أعلم أنها متمردة ومن الجيد أنك لقنتها درساً.

مع إنهاء عبارته اختفى فارغاس مع فرقعة شديدة تصدر في المكان...

تعتدل ليليث من تكورها بملامح منكسرة مرهقة تصاحبها الدموع.

ارتسمت علامات الدهشة على لوسفير وقطب جبينه وهو يحدثها

ـ أتبكين أميرة الغواية ! تعلمتِ من البشر الضعف والوهن،مئات السنين تختبئين مني في عالمهم، وهذا كل ما تعلمته!

تنهض ليليث بقيودها من الأرض الملهتبة وألسنه النار تخرج منها، تقف تتأمله بنظرة انكسار وهزيمة وهي تحدثه بفحيحٍ خافت:

– مولاي الخالد، ملك الجحيم وأبوابه السبعة ، أنا بين يديك الآن؛إذا أردت أن تنهي حياتي؛ افعلها بيدك أنت وليس بدماء جحافلك الملوثين...

يقاطعها بحزم وهو يتحرك بسرعه فائقة ليظهر خلفها وهو يتحسس جسدها:

- ألن تنهي هذه النغمة المتكررة حول خيانة جحافلي المخلصين لي؟

قالها وهو يطبع قبلة على رقبتها، ويمسك خصرهابيديه ...

رفعت ليليث رأسها بدلال وعينيها تتوهجان وخصرها بين يديه يتلوى كأفعى تتراقص على مزمار حاوٍ من الهند ، ثوانٍ مرت قبل أن يقطعها صوت ليليث :

- مولاي أنهِ أسطورتي الآن، احرق روحي أنا أمامك أيها الخالد؛كما تقول؛ تركتني أعبث في الأرض لغرض، اقتلني وأنهِ ذلك الشك الذي يساورك عن خيانتي و تمردي على قواعدك...

يتوقف لوسفير عن تقبيلها ويرفع يده عن خصرها ويلفها ليجعلها أمامه، وجهها أمامه وهو يتأملها بنظرات سخرية قائلا :

-أعتقد أن كل نسخة منك أضعف من سابقتها وكلما مر الزمن تضعف أكثر، الحقيقة دائما أن الأصل أقوى والنُسخ تكون ضعيفة؛ خصوصا عندما تأتي من نسخة ضعيفة مثلها...

همت أن تقاطعه؛ لكنه يعطيها ظهره وهو يشير بيديه ويتابع:

- لن أعاقبك أو أقتلك الآن لأنك بدأت تدهشينيحقاً؛ و لا أخفيكِ أنّي أشعر بالإثارة ...

واليوم أنا سعيدٌ جدا مما فعله البشر؛ فلا تخرجيني من ذلك الإحساس واحكِ.

قالها وهو يلتفت لها مرة أخرى مبتسماً...

تنهدت ليليث قليلا؛ وبسرعةٍ استعادت ثقتها وجاذبيتها؛ ثم طرقعت أصابعها...

تشتعل النيران حولهما، يتموج المكان كأنه قطعة قماش في الفضاء بلا جاذبية، شررات كهربية كآلافٍ من ومضات البرق تضرب المكان، بلورة تتوسطهما يظهر عليها مشاهد متلاحقة...

رمال .. صحراء .. أهرامات .. بيوت وتماثيل عملاقة حتى تتوقف عند ذلك الرجل بزيه الفرعوني، عندها يوقف المشهد لوسفير بكفه قائلاً :

- إنه رمسيس البشري، ماذا عنه ؟

يتوقف المشهد على البلورة أمامهما وليليث تنظر بدلال وخبث وبصوتها الناعم:

ـ نعم إنه عصر القوة مولاي وعصر الإله آمون...

يقاطعها لوسفير باستهجان وهو يقول :

- ليليث، آمون هذا...

وقبل أن يكمل في سرعة البرق تنتقل لتكون أمامه بقيودها، تلفهم حوله وهي تلف خلف ظهره لتقيده وهو يبتسم بسخرية:

– سعادتي بالنصر هذه الليلة تجعلني أقبل إثارتك السادية؛ قالها وضحكاته الشيطانية تردد صداها في المكان...

توقفه مزامير خافتة مصاحبة لفحيحٍ رخيم يتسلل لمسامعه:

– مولاي، جحفلك آمون أنت من جعله إلها يعبده البشر؛جعلته يخدم الملك "جاتو سيليس الحيثي" و قائده الشجاع والوسيم "مواتالليس "

...

هم لوسفير أن يتحرك ويتكلم؛ لكن ليليث تضع يديها على كتفيه من الخلف، تقترب وهي تهمس في أذنه بنعومة ساحرة وفحيحٍ هاديء:

ـ مشغولا كنت يا مليكي مع الأشوريين لتتملكهم هم أيضا وتنشر الدمار بينهم بالحروب، بينما آمون يخالف أوامرك هناك.

قالتها وهي تشير بأصابعها ناحية صورة رمسيس المتجمدة الثابتة على البلورة وهي تتابع همساتها:

ـ "جاتي" البشرية جعلته يخونك؛ يخون عهود أقدم مملكة على الأرض مملكة الجحيم مولاي ...

وقبل أي ردة فعل من لوسفير ترفع ليليث يديها من فوق كتفه بقيودها المشتعلة، تجعلها فوق رأسه، وتهبط بها لترتطم السلاسل بالأرض بقوة وتتموج الغرفة وهي تتبدل من أمامهما ببطء شديد...

يظهر رمسيس ملك الفراعنة نائماً ليلا على سريره، يتقلب ويتصبب عرقا، ويتمتم كأنه يرى كابوساً ولا يستطيع الخروج منه.يدير لوسفير رأسه لليليث التي كانت الابتسامة على وجهها، وهي تشير له أن يكمل ما يراه، صراخ رمسيس القوي؛ يجعله يلتفت ويتابع...

ينهض من فراشه صارخا، يتلفت حوله كثيرا وهو يتمتم ببعض اللعنات، فجأة صوت غريب يصدر من أحد أركان الغرفة، يجعل رمسيس يوجه نظره نحو ذلك الركن وهو يتحدث بحزم :

ـ من هناك؟ الصمت يخيم للحظات، وفجأة يصرخ رمسيس وهو يمسك رأسه بكلتا يديه وأصوات نعيق الغربان يطن في رأسه يجعله يصرخ ويرتمي على الفراش من الألم؛ و يغلق عينيه من شدته ...

فجأة ؛ تتوقف صرخاته ويفتح عينيه وعند نهوضه يتفاجأ بذلك الكيان الأسود أمامه، أراد أن يدفعه لكن جسده لم يطاوعه، أصابه الشلل، حاول أن يتكلم لم تقوَ عضلات فكيه على الحركة.

ـ لا تخف رمسيس؛ أنا الإله آمون، جئت لنجدتك.

تتسع عينا رمسيس من الرعب يحاول أن يتحرك؛ أن يفعل شيئا، كأن قوانين الأرض قد تغيرت في تلك الغرفة، الشلل يصيبه، فقط رأسه تهتز يمينا ويسارا من الفزع...

- لا كلام في حضرة إله، أنت تسمع فقط، إذا أردت النصر والخلود؛يجب أن تنفذ ما أقول وتعهادني عليه، وتستطيع أن تهز رأسك بالموافقة أو الرفض.

يوقف المشهد تصفيقة من كفي ليليث وهي تتموج حول لوسفير؛ كساحرة تتخلل النيران مسامها الجلدية البشرية، تنطلق بقيودها تسبح في دوائر في الهواءِ حول رمسيس وذلك الكيان الأسود المتجمدين من أثر تصفيقتها؛ كأنك قد ضغطت على زر"puse"على آلة عرض سينمائية ...

وصارت تتجول داخل المشهد المتجمد...ضحكات ليليث تملأ الغرفة الفرعونية وهي تتأمل لوسفير بمكر وفحيحها الناعم:

ـ هل تعلم مليكي الخالد عمَّ كان العهد بينهما ؟

قبل أن يجيبها لوسفير ترفع يديها مرة أخرى في الهواء وتلف دورة كاملة حول نفسها، ثم تضرب الأرض بسلاسلها الملتهبة مرة أخرى ليتحرك المشهد من جديد أمام لوسفير، وليليث تشير إلى أذنيها لينصت لهما وهي فوق رأسيهما؛ مبتسمة وعينيها تومضان بوهج شديد.

يتحرك الكيان الأسود بوجهه؛ ملامحه قريبة إلى الغراب وجسده على شكلٍ بشري بذيل طويل يلتفت وراءه يمينا ويسارا، وقف أمامه مباشرة...

خر جسد رمسيس راكعا دون إرادته، حاول أن يرفع رأسه؛ لم يستطع؛يحرك ذراعيه المسندين على الأرض؛ ولم تفلح محاولته أيضا،قطع محاولاته اليائسة للتحكم في أعضاءه وعضلاته ذلك الصوت العميق:

ـ إني غاضب منك رمسيس، أعطيتك قوة إله؛ بشرٌ يقدمون قرابينهم إلى بشري مثلهم؛ صدقوك بفضل هباتي؛ وماذا فعلت أنت؟

انهارت قوة رمسيس تماماً؛ افترش جسمه الأرض مع ارتفاع نبرة الصوت الذي يخاطبه:

ـ لا تحاول المقاومة، حراسي يتحكمون ببدنك؛ حتى روحك ليست ملكك، لقد خسرت معركتك مع الحيثيين؛ انهارت قوتك بغرورك؛ أوشكت حضارتك على الاندثار ...

هل تريد أن أغفر لك؛ أن أرحل وأترك روحك لك!

ـ نعم ـ قالها رمسيس بصراخ ـ كأنه كان يحاول أن يخرجها منذ وقت وخرجت مرة واحدة عندما أذن له بإخراج الصوت...

موافق على كل ما تريده ، فقط ارحمني واغفر لي إلهي.

بحزمٍ وصرامة يتحدث الكيان : ـ هل آمنت الآن أني إلهك الحقيقي آمون، وليس ذلك التمثال؟

ـ آمنت .. ااااااه ـ قالها رمسيس وهو يتألم تحت قدم آمون الذي تابع حديثه:

ـ ستعهادني بدمائك على روحك أمامي ... صمت لبرهة وأكمل:- سأجعلك تقيم معاهدة مع الملك " جاتو سيليس "، لكن ستفعل ما أقوله لك...

إيمائه بخوف وفزع من رأس رمسيس ؛ تجعل أمون يتابع:

ـ بعدة عدة أيام ستصاب حاتي بنت " جاتو سيليس " بمرض سيحتار به الأطباء حتى السحرة؛ و سيكون الترياق معك؛وتنقذها، وستتزوجها، ـ يصمت قليلا وعينيه تتوهجان في الظلام ـ ثم يكمل:

ـ مواتاليس سيغضب وقد يحاربك؛ فهي محبوبته وزوجته المستقبلية؛ لكن دماءِ عهدك ستجعلك تنتصر...

قهقهة مفزعة ترج المكان وهو يتأمل جسد رمسيس الساجي تحته يتألم ولا يقوى على رفع رأسه وهو يحدثه بقوة:

ـالآن هذا السكين والترياق، أريد دماءك التي تتكون من قلبك..

بدأ جسم رمسيس يتحرك ويسند يديه على الأرض ويعدل وضعيته للجلوس وهو ينظر لنصل السكين الذي يلمع في الظلام، وتلك القنينة الزجاجية التي تحوي شرابا وردي اللون، رفع رأسه يطالع آمون وهو يمسك بالسكين أمامه، يضعه على صدره بالقرب من موضع قلبه، يشق جلده بجرحٍ غائرٍ طوليا، تنفجر الدماء منه بغزارة وتسيل على جسده، قطرات منها تصتدم بالأرض، وهو يلقي السكين ويمرر كفيه على الدم حتى يغطيهما، ويخر ساجدا ورأسه بين قدمي آمون وهو يقول:

ـ أعاهدك بالدماء وأسلمك روحي لتخلدها إلهي.

أوقفت ليليث المشهد عند معاهدة رمسيس للإله آمون، ولوسفير يتابع بدهشة واهتمام، اقتربت منه تجرجر سلاسلها كطفلةٍ سعيدة بأساورها الرخيصة...

. رأيت مولاي ما حدث؛ كيف جعل آمون الذي جعلته إلها رمسيسَ يعاهده بالدم؛ ليزوجه تلك البشرية "حاتي"

هؤلاءِ هم جحافلك المخلصين مولاي...

صمتَ لوسفير يفكر؛ فأخرجته ليليث من صمته :

ـ بمَ يفكرُ مليكي ، وماذا ينوي ؟

أجابها باستهزاء :

ـ ومنذ متى أخبرك بنواياي وأطلعك على ما أفكر به ...

تنهدت ليليث وطرقعت بأصابعها لتتموج الغرفة ويتلاشى المشهد المتجمد، وتعودُ الغرفة الملكية المهيبة بسريرها المرصع بالزمرد والأحجار التي لم تصل إليها أيدي البشر ...

استلقت ليليث على السرير وبدلالٍ قالت :

. لن أستعجل مولاي؛ سيأتي يومٌ تصدقني وتثق بي ...

تجاهلها لوسفير قائلا :

– سأذهب الآن، وسيحرسك "فارجاااااس" — قالها بصوتٍ مرعب مع بعض المرح _ كأنما يحاول تخويف طفلٍ مشاغب، ليرى أثر الاسم على ليليث؛ حيث انتفضت واتسعت عيناها .

ضحك من ردة فعلها وقال :

– ما بكِ؟ لا يمكن لأحدٍ أن يؤذيكِ إلا بإذنٍ مني؛ لذا كوني عاقلة يا جميلتي...

***

– 3 –

إجتماعات سرية

في تلك الأثناءِ في مكانٍ آخر، في أحد أراضيها السبع؛ كهفٌ عملاق يتوهج من ألسنة النيران المشتعلة به؛ وكأن النار جزءاًمن تكوينه، الأرض رمادية كاللافا التي تخرج من براكين الأرض، لكنها أكثر سوادا وغليانا، فوقها وقف أربعة من مخلوقات ذلك العالم الجحيمي، ينظرون إلى بعضهم البعض في قلق، لا صوت لهم؛ لكنهم كاوا يتحدثون، ملامحهم وإيماءات رأوسهم تشير إلى أن الحوار بالعقل بحاسة لا يملكها البشر...

وقف كبيرهم بهيئته المقاربة للبشر لكن بلا ملامح، فقط نيران حمراء تحيط كيانهم وبإشاراته كان يوجه كلامه للثلاثة أمامه :

ـ تعلمون الخطر الذي تسببه تلك المتمردة اللعينة، نحن الأربعة من

ذويالدم النقي، لا أعتقد أن "لوسفير" سيصدق ...
قاطعه أحدهم :

ـ حكيمنا فاساجو هل خانتك ذاكرتك، إنه مولانا الخالد .
قاطعه أحد الواقفين بجانبه :

ـ أيها الملك الأعظم بعال، اتركك من تلك الرسميات الآن؛ لا أحد يعلم عن هذه الجلسة غيرنا.

خرج صوت الأخير بعذوبةٍ وسحر ليقاطعهم:

ـ الملك آمون عذرا لمقاطعتك، اسمعوني .. نحن أنقى أنسال هذه المملكة الجحيمية، أجدادنا عاشروا أبا الجان "سوميا" ...
في تلك اللحظة يقاطع ذلك الحوار الصامت الذي يدور بينهم ذلك الحكيم فاساجو بصوته الحكيم:

ـ الملك بايمون يتكلم بحكمة، وأنا أؤيده؛ نحن هنا لنضع تصوراتنا عن وجود ليليث في مملكتنا وعدم قتلها حتى الآن ...
توقفت الأصوات قليلا وخرج صوت بعال غليظا:

ـ معك حق عندما كانت على الأرض لم تكن تقلقنا الآن يجب حرقها، وقبل أن نفعل ذلك يجب أن نتفق على ذلك من وراء ملكنا؛ كما فعلنا في السابد ...

قاطعه آمون بحزم :

أيها الشيطان الأعظم أعتقد أن عهد أجدانا الذي بيننا، يجعل تذكيرنا لا داعٍ له؛ أم أن منصب ملك المطهر الجحيمي أنساك؟
ضحكات داخل رؤوسهم ترتج بعد انتهاء عبارات آمون .
– كفى، أتمزحون مثل البشر ـ قالها فاساجو ـ

اعتدلت هيئاتهم، وبدأ الكهف يتموج ويظهر ضوءٌ من العدم ...

ويتبدلون إلى أشكالهم الجحيمية الأسطورية التي لا يستطيع عقل بشري أن يتخيلها.

***

في وسط الغرفة وقف فارجاس بكيانه المهيب؛ ينظر إلى ليليث التي حاولت أن تبدو أكثر ثقةً وتماسكاً ...

كسراً للصمتِ بدأت ليليث الكلام :

ـ أهلا بك مجددا أيها الملكُ العظيم ...

بلمحِ البصر كان أمامها مباشرةً؛ وجهه ملتصقٌ بوجهها وبابتسامة ماكرة يقول:

ـ آلمتُكِ كثيراً في المرة السابقة، أليس كذلك أيتها الـ....

قاطعته ضاحكة : ـ لا بأس أيها العظيم ؛ لا يهمني ما دمت أقوم بواجبي تجاه مملكتي وملكها الخالد المبجل لوسفير؛ فقد أخبرته بما حدث بين رمسيس و آمون ...

ـ وهل تعتقدين أن مولاي سيصدق متلاعبة مثلك ؟!

ـ أوووه أعلم أنك لم تفعل شيئاً وأنك مخلصٌ لمولاي، أنت كنت متفرجاً فقط ؛ فلا تقلق _ قالتها مع ضحكةٍ ساخرة _

أمسك فارجاس رقبتها بعنف :

ـ نعم متفرجٌ فقط ... هذه ميزة جعلتني أعرف الكثير؛ أيعلمُ مولاي المبجل أن فاتنتنا ليليث هي ذاتها "حاتي الفرعونية"، ألم تخبريه بذلك ؟!قبل أن تتحدث أكمل كلامه :

ـ آه أنت لا تقولين له؛ أنت ترينه صوتاً وصورة، صحيح؟

ترك رقبتها وبدأيطرقع أصابعه وهو يقول ضاحكا: ـ ها! كيف تفعلينها ؟ هكذا، هكذا ....

ابتسمت ليليث و هي تمسك رقبتها التي أفلتها فارجاس وتحرك رأسها بشكلٍ دائري، ثم قالت :

ـ أيها الملك، أنت تعلم كم أحب الأقوياء؛ أنت حقا تذهلني __ قالتها وهي تقترب منه__ حتى التصقت به، وهمست في أذنه بصوتٍ عذب ـ أحبُ قوتك هذه وثقتك وحكمتك، أنت أفضل ملوك مملكتنا ...

ارتخى قليلا ولانت ملامحه على أثر دلالها وغوايتها ومزاميرها الساحرة، وهي تتبدل أمامه في أبهى و أجمل الأشكال البشرية والشيطانية...

لكنّه استجمع نفسه مجددا وبصوتٍ مرتبك قليلا قال :

ـ لا ، ليس أنا يا ليليث، دفعها عنه لتجلس على السرير الملكي،

ثم عادت القوة إلى صوته :

ـ كلنا نعلم أسطورتك، لكنك لست بالقوة التي يعتقدها البعض، أنتِ متلاعبة و ذكية لكنك لستِ آلهة ولستِ شيطاناً كاملاً ...

لقد عشتِ قروناً تتناسخين من البشر وأنتِ مطرودة من المملكة، كلنا هنا نعلم حقيقة تناسخك، وكيف يموت من يقع في فخ غوايتك ويعاشرك؛ وكيف تموتين و أنت تلدين أنثى تشبهك تماما وتحمل ذاكرتك، أليس ذلك خلوداً من نوعٍ آخر؟

أكمل بعد ضحكةٍ قصيرة :

ـ طوال تلك القرون أصبحت تتناسخين من البشر؛ إنّهم لا يعرفونك ولا يؤمنون بأسطورتك أصلا؛ فيقعون في فخ إغوائك وغرائزك وإثارتك، ثم تقتلين من يعاشرك من رجال البشر، ولا يكتشفك أحد ...

من سيتوقع ذلك أصلا ؟ جهلهم نعمةٌ لهم ...

ضحكت ليليث ضحكة قصيرة متقطعة ثم قالت :

ـ رائعٌ جدا، لقد ذكرت تاريخي لكنك غفلت عن أهم شيء ...

قبل أن يتفوه بكلمة قالت بصوتٍ قوي واثق: – ألا تعرف أني أقدم مخلوقٍ ناريّ في هذه المملكة ...

قرأت دهشته و أكملت: – نعم، كنت قبل لوسفير وعايشت "سوميا" أبا الجن ...

لم أختر قدري بأن يموت من يعاشرني؛ ولم أختر أن أموت وأتناسخ ملايين المرات، لكنّي أعرف ماذا أفعل وماذا أريد، وكيف أستغل ميزاتي وقوتي وغوايتي ...

***

في ذلك الكهف الذي أضاءت أنواره من العدم، تشع من كل مكان على الجدران، أشكال الجحافل الأربعة تمتزج بين الهيئة البشرية الحيوانية المغلفة بالنيران بدرجات ألوانها المعلومة وغير المعلومة.

- سنكمل في قت آخر، يبدو أن لوسفير قادم، وربما ترك فارجاس...

-قالها الملك فاساجو ذواللحية الفضية، وعيناه المتوهجتان منرأسٍ مشتعلة، ملامحه قريبة لتمساح من غابات الأمازون، وقبل أن يتابع كلامه؛ قاطعه بعال الأعظم بلكنة سخرية بملامحه القريبةلقطٍ من عالم يحيطه الجحيم:

- سيجعله يحرس الملعو...

وقبل أن يكمل كلامه، تصدر فرقعة قوية في المكان، وميضٌ يشق الفراغ، ويخرج لوسفير من العدم... يخرّ الجحافل الأربعة ساجدين أمامه، وبإشارةمن لوسفير الذي مازال بهيئته البشرية، ينهض جحافله

وهو يتأملهم بصرامةٍ، وبريقٌ متوهجٌ من عينيه وهو يوجه حديثه لأحدهم:

ـ الملك آمون إله البشر قديماً، وإله المعارك ونشر الأمراض والعداوات ...

قالها وهو يتأمل كيانه الناري المتموج ورأسه الأقرب إلى الغراب ويتابع :.

هل أثرت العداوة في تلك الصحراء العربية، و أعددت المسرح لأم المعارك...

ثوان من الصمت يتخللها صوت آمون المقارب لنعيق مئات الغربان :

ـ مولاي المبجل، كل ما أمرت به منذ نزولك من السماء ينفذ كما تقول .

هز لوسفير رأسه قليلا، يفرقع بأصابعه فتظهر شاشة زجاجية شفافة تغطي أحد الجدران، تموج بداخلها صور بشر يتحركون يهرولون،

مناطق مختلفة، حروب،طائرات، انفجارات، هالات شيطانية في السماء، دماءٌ متناثرة وحقدٌ كالشررالمتطاير في العيون ...

لقطات سريعة تظهر كأنه قمر صناعي من الجحيم لمراقبة الكرة الأرضية كلها، وكل ما يدور داخل بناياتها وخارجها .

أثناء المشاهد المتلاحقة يوجه لوسفير حديثه إلى بايمون بوجهه الأقرب إلى بشريّ مهيب؛ يحمل مزاميره و أوتاره أينما حل.

ـ بايمون أريدك أن تحضر معزوفة تثير البشر للمعركةالكبرى، أريدها أشدقسوة من تلك التي خلدت في حربهم الأخيرة.

ـ هل ظهر المنتظر مولانا المبجل ؟ – قالها بعال بصوت مواء هاديء–

التفت إليه لوسفير وهو يشير إلى الحائط فيختفي المشهد منها وتعود كما كانت، يتأمل بعال ويقترب منه ويهمس بفحيح : ـ بعال الملك الأعظم أيام سليمان، من نسل سوميا النقي، يا من

تملكجيوش الخداع والتلاعب في العقول، يا من تصيب العقول بالجنون ..

أتلاعبت مردتك وغيلانك برأسك؟.

هم أن يقاطعه بعال لكن إشارة من لوسفير توقفه وهو يتابع :

ـ كيف ظهر المنتظر، هل فعلها أحد جحافلي الثمانية عشر مع بشرية دون أن آمر بذلك! أنسيتم أن ابن الشيطان عندما يأتي ستكون النهاية...

نسيتم عهود مملكتنا الجحيمية بعد نزولي من أعالي السماء.

قال آخر عباراته بصوت أشبه بالرعد الغاضب وهو يتأملهم جميعا بوهج شديد..

يقطع السكون صوت مزامير فاساجو الملك الحكيم:

ـ مولانا ... عهودنا القديمة، عهود سوميا و..

فرقعة شديدة كأنها مئة قنبلة نووية بشرية سقطت على المكان في نفس التوقيت، شرارات نارية وجحيمية تحيط المكان هالات دخانية كانفجار مئات البراكين.. تخر الجحافل ساجدة، وجسد لوسفير يتحول إلى شكله الشيطاني ويحدثهم بغضب:

ـ أعتقد أنكم نسيتم أن لفظ تلك الكلمات في عهدنا معناه الموت والذهابإلى المطهر، أليس كذلك يا ملك باب المطهر الجحيمي " بعال"

وقف فوقهم وهم ساجدون لا ينطقون أجسادهم ترتعش، وابتسامة تعلووجه لوسفير الشيطاني وهو يسمع مزاميرهم التي تنطق بكلمات لن يفهمها البشر قد تكون من لغةٍ سحيقة لم يتعلم نطقها البشر حتى الآن

ـ " لليبيا ..ا م سات .. بعل هليا .. لوسفيير. "

***

في الغرفة الملكية ، تجلس ليليث على السرير الملكي صامتة؛ عيناهاتقولان الكثير وهي ترى دهشة فارجاس بعد انتهاء كلماتها، والذي وقفبدوره يتأملها بصمتٍ لا يخلو من الانبهار.

نطق أخيرا موجها كلامه إلى ليليث:

– بما أنك تثيرين الشغب والمشاكل هنا، وتتهمين أفضل شياطين المملكة بخطايا ملفقة، لا أنكر ذكاءك عزيزتي، لكن أنتِ أيضاً لستِ أشد حرصاً منا على المملكة، ولم تحافظي على نسلك الشيطاني، لا أدري ليليث هل أنتِ شيطانة حقا، أم أنك الآن بشرية، أم مزيج من الاثنين، فأنتِ لا تعاشرين إلا البشر!

ردت عليه وقد قطبت حاجبيها وبدت عليها ملامح الغضب:

- أوووه فارجاس، أنت تعلم أن هذا ليس ذنبي، أفعل ذلك لأستمر، إنها لعنتي، وأظنك تذكر ذلك، أم أنك لا تعلم؟

- إذن.. أنت تنتقمين؟

- لا عزيزي فارجاس، ليس انتقاما، من أنا لأنتقم! كل ما في الأمر أني اشتقت إلى الجحيم، لهذا فعلت كل ما باستطاعتي للعودة، أنا مخلصة جدا لجحيمنا أيها الملك، وكلكم ستدركون ذلك...

نظر إليها نظرةً عميقة اخترقت كيانها، ثم قال لها:

- ولماذا تركتِ ذلك الرجل، لمَ لم تعاشريه، وقد كنتِ بحاجةٍ للتناسخ، تركتِه في اللحظةِ الأخيرة، لا تنكري يا ليليث أنكِ أحببته، نعم عشقتِ ذلك الكاتب، لا تخجلي واعترفي...

لم تردّ عليه هذه المرة، بل نظرت إليه بابتسامة ممزوجة بالغضب والكبرياء، متجاهلةً ضحكاته الساخرة، حتى عاد للصمت.

احتل الهدوء مكانه في الجناح الملكي، هدوء لا يتناسب مع وجود ليليث تلك الشيطانة المثيرة المتمردة، التي لا تكُف عن استفزاز كل من يواجهها، وفارجاس أقوى شياطين المملكة، أكثرهم علما ومعرفة، يملك أقوى الطلاسم والتعويذات، يعرف الكثير من الأسرار منذ عهد سليمان، وهو المؤتمن لدى لوسفير على أسرار المملكة منذ زمنٍ بعيد...

يقطع الصمتَ ظهورُ لوسفير من العدم كعادته، نظر إليهما باستغراب قائلا:

ـ هل فاتني الكثير، توقعتُ أن أعود لأجد أحدكما قد أحرق روح الآخر..!

يبدو أن فاتنتنا المزعجة كانت مطيعةً اليوم.

أراد فارجاس أن يتحدث، لكن سبقته ليليث بضحكة:

ـ مولاي، ما حدث بيننا المرة السابقة هو سوء فهم لا أكثر؛ اليوم تبادلنابعض المعرفة فقط، وسررت بالحديثِ مع ملك الطلاسم وعلم الحروفالملك "فارجاس" أحد جحافلك الثمانية عشر المخلصين..

يأمرُ لوسفير جحفله بالانصراف؛ فيذهب بطرفةِ عين...

جلس لوسفير على كرسيٍّ ملكيّ ظهر في نهاية الغرفة، مرصعٌ بأحجارالياقوت والزمرد، يتوهجُ بنارٍ مستعرة، بهيأته الجحيمية الناريةطالع ليليث التي مازالت جالسة على السرير الملكي بقيودها، تصفر بصوتٍخافت وهي تتلمس سلاسلها بنعومة؛ بلا اهتمام لنظراته التي تتفحصها،وكأنّه غير موجود، تداعب شعرها الطويل مستمتعة بصوت صريرالسلاسل، وتنظر بطرفِ عينها نحو لوسفير كأنها تنتظر منه حديثا...

استمر الصمتُ طويلا قبل أن تقطعه بعوضة دخلت الجناح الملكي واقتربتمن الملك الذي انتفض حين رآها تحوم حوله...

ضحكت ليليث بصوتٍ عالٍ مما رأت؛ صاح بها لوسفير:

ـ ما الذي يضحكك يا ملعونة..

أجابته وقد احتدّ صوتُها:

ـ مولاي يستخدم كلمة ملعونة كثيراً؛ ألستَ ملعونا من فوق سماءهاوتحتها أيضاً، واللعنة تتملكك وتلازمك ما حييت...
كتم غيظه قليلا وقال وهو يحاول التحكم بغضبه:

ـ لا تتفوهي بهذا الكلام مرة أخرى وإلا أحرقتك وجعلتك عبرة للجميع ...

ـ العفو يا مولاي؛ فما قلته بغير قصدٍ ولا أقصد به إهانة مليكَنا الخالدالمبجل "الملعوووون... "

في لحظةٍ أصبح لوسفير قريبا منها، وجهه لوجهها..

– لا تختبري صبري أيتها اللعينة، فما أبقيتُكِ إلا برغبةٍ مني، وبلحظةٍ أستطيع أن...

قبل أن يُكمل كلامه اقتربت منه البعوضة؛ فاستشاط غضبا...
و عَلَت ضحكات ليليث:

ـ مولاي ... أتُغضبك بعوضةٌ صغيرة تائهة تسللت خطأً إلى عالمنا ؟

اعتدل لوسفير وبصوتٍ لا يخلو من الارتباك قال:

ـ هه ، أنا لا أخشى شيئاً، أنا لوسفير الذي يهابه الجن والإنس، لن تخيفني بعوضة !

بصوتٍ فحيحي صارم بلغة عربية بليغة لا تخلو من الخشوع قالت:
ـ "فما فوقها، فأما الذين آمنوا فيعلمون..."

لم يمهلها لوسفير لتخرج بقية الكلمات التي كانت على أعتاب شفتيها ...

اشتعلت عيناه غضبا وبإيماءةٍ من يده رفع ليليث إلى السقف وهي

تصرخ ألما،ويصرخ بها لوسفير بصوتٍ رعديّ وقد تحول إلى أكثر أشكاله وحشيةً وقوة:

ـ أنا لوسفير بن سوميا.. أنا من تمنى أباه ولبى الرب نداه.. أنا منيخافني المرض.. أنا الخالد المبجل.. أنا سطور الكفر في كتاب مقدس..

صرخاتُ ليليث لم تستعطفه وهي ترجو رحمته وتستجديغفرانه. لحظات من التعذيب؛ حتى أدرك أنها قد تموت فتركها لتسقط أرضا وتتلوىألما، يقترب منها ويمسك شعرها بيده ويجذب رأسها نحوه وهو يقول:

ـ لا أريدُك أن تموتي الآن، لكن أعتقد أن هذا درسٌ قد يفيدُك... ستستعيدين بريقك بعد قليل أيتها الفاتنة لتخبريني قصةً جديدة بلا تلاعب.

بعينين دامعتين واهنتين تنظر إليه وقد خارت قواها... تركها وعاد ليجلس على كرسيه الملكي وقد استعاد بعض هدوئه...

وشيئا فشيئ هدأت ثورته وعاد إلى الهيئة البشرية، بجسد رجلٍ مثاليّ؛وملامح إله يونانيّ منحوت بعنايةٍ فائقة، يجلس بثقةٍ وزهوٍ وهو يتأملهاجاثيةً تحاول استجماع قوتها ...

مرت لحظات على هذه الحالة؛ حتىاستردت ليليث بعض عافيتها لتقوم عن الأرض وتجلس على السريربقيودها المسلسلة، يتأملها لوسفير بابتسامة ساخرة:

ـ أوووه "ليليتو"، تبدين جميلةً وأنتِ ضعيفةً هكذا، نسختك السابقةكانت أقوى من ذلك عند مواجهتي، هذا لا يليق بك يا شيطانة الغواية،أنا لم أفعل شيئا بعد ... هيا أيتها الفاتنة أريني ما لديك الليلة...

أدهشيني و أعدُك بجولةٍ معي إلى الأرض... توهجت عينا ليليث فرحالا يخلو من الضعف، واستردت بسرعةٍ عجيبة ثقتها؛ ابتسمت قائلة:

ـ لكن مولاي ألن تقترب؟ كيف سأحكي لك وأنت تجلس بعيدا؟ اقترب..

ـ ما رأيُك ببعض التغيير، سأبقى هنا على عرشي وستأتين أنتِ تجلسين تحت قدمي وتروين حكايتك..

ـ كم يسعدني ذلك مولاي، لكن بقيودي هذه لن أصل إليك...

بطرقعة من إصبعه تلاشت القيود النارية... قامت ليليث من مكانها،مشت ببطءٍ ودلالٍ شديدين حتى وصلت لعرشِ لوسفير؛ جثت أمامهوجلست عند أقدامه كقطةٍ وديعة ...

طرقعة؛ وأطفأت الأضواء....

***

في أبعد بقاع الأرض، وفي تلك المنطقة البعيدة التي لم يصلهاإنسان؛ حيث يقبع الظلام باستمرار، وقبيل بدء عام أرضي جديدببضعة أسابيع، وقف كيانان عملاقان، نفحات نارية تخرج من كيانهماوهما يتشاوران ويحدث أحدهما الآخر بصوتِ عواءٍ لو سمعه أهل الأرضلارتعدت فرائصهم وخروا على ركابهم من شدة الرعب.

ـ هكذا هو الإنسان أيها الملك" بايمون " يروي ويحكي، يسمع لكن لايرى؛وحين يرى لا يصدق، وعندما يصدق سيكون الوقت قد فات وانتهى.

ـ أعلم أيها الملك الأعظم " بعال " أننا ندفع ثمن أخطاء أجدادنا في الماضي..

قاطعه بعال بسرعة وبنبرة مقاربه للجنون:

ـ نحن وفاساجو وآمون آخر النسل النقي، من يحفظ عهودنا القديمة؟ أجيال الشياطين الجديدة أصبحت ضعيفة وجاهلة بتاريخها؛ لانشغالهمبالبشر، ولوسفير يتحكم بهم في ذلك ...

يتوهج المكان بشرارات النيران إثر انفعال بعال وهو يتابع:

ـ نصون عهودنا وكتبنا، لينتقم هو لنفسه من السماء.. !

هم " بايمون " أن يقاطعه ، لكن بعال أكمل ثورة انفعاله:

ـ هل نسي هزيمته من مهلاييل بن شيث، هل نسي أنه قبل وجودالإنسان كان أكثر من سجد وركع على بقاعها حتى رفع للسماء.

وهج أحمر وشرر يتتطاير من عيني بعال الذي يقاطعه صوتبايمون الساحر والهاديء الذي يجعله يهدأ:

ـ نحن نخدمه لمصلحة جحيمنا كما عاهدنا أجدادنا، وعندما تحيناللحظة سنفعلها، سنحافظ على مملكتنا حتى لو أرجعنا عهد

سليمان.

قالها وهو يطالع " بعال" الذي كانت عيناه تتوهجان وعلى وجههابتسامة وهو يهز رأسه ويشير نحو الفراغ الذي يتموج ويهتزكزلزال ضرب المنطقة بقوة لا تستطيع القياسات الرخترية البشريةأن تقيسها، وانفتحت فجوة في الفراغ واهتز المكان مرة أخربلكن من صوت بعال هذه المرة وهو يصرخ " أجاريس" .

***

حقلٌ واسعٌ للذرة في قرية نائية فيه كوخٌ صغير، يسكُنه رجلٌ في الثلاثينات مع والديه العجوزين... مشهدٌ بدأت به ليليث ليلتها؛ بينما يجلس لوسفير على عرشه بتعالٍ متأملا نظراتها كأنها تريد أن تقول شيئا، لكنه تجاهلها قائلا:

ـ نعم أعرفه ذلك الأبله... ماذا بعد.. !

ـ أعلم سيدي أنك تعرف رجل الفزاعة الأبله، أتدري ... كنت أشفق عليه كثيرا، و ما حدث معه كان أفضل له..

تتنهد وتكمل حديثها والمشهد يتحرك أمامهم في لقطات متتابعة تظهر ما تتحدث عنه :

ـ حسنا؛ في ذلك الكوخ عاش حياته كأنه نكرة؛ منذ صغره يتلعثم بالكلام ويتعرض لمعاملة سيئة من الجميع وأولهم والديه؛ لذا لم يكنله أصدقاء سوى فزاعة الحقل...

تصفيق باستهزاء وكبر يجعل المشهد يختفي ويعم الظلام المكانوصوت لوسفير الساحر يتحدث :

ـ أوووه كم أنتِ رقيقةً ليليتو...

قالها باستهزاء وضحك؛ وضحكت له ليليث بعذوبة وقالت :

ـ ألا يبدو عليّ ذلك ! نعم أحب مساعدة أولئك المساكين...

طرقعت بأصابعها ليظهر من جديد مشهد الحقل الشاسع؛ تتوسطه فزاعةٌ صامتة، المكان مظلم إلا من ضوء القمر، يجلس الرجل بجانبفزاعته واضعا رأسه بين ركبتيه؛ يبكي ويختلط صوت بكائه بكلامٍ سريع :

ـ لا أحد يحبني ... لا أحد يحترمني، كلهم سيئون، لماذا ؟..

ها أنا الآن أتحدث بطلاقة، لماذا أتلعثم أمامهم، أنا أكرههم؛ أكره الجميع ... حتى صديقتي الوحيدة عندما قلت لها أحبك هجرتني ولم تَقبلني..

صوت نشيجٍ يقاطع خلوته بنفسه في الحقل؛ يتلفت حوله بعد أن تيقن أن هذا ليس صوت بكائه؛ لا أحد هنا سواه و الفزاعة؛ ينظر برعبٍ إلى الفزاعة التي رغم ظلمة الليل كان ضوء القمر مُسلطا بعنايةٍ

نحوها؛ ليربوضوح تلك الدموع التي تسيل من عينيها.. وبومةٌ كبيرة تحط عليها ...

دموع حمراء بلون الدم، فزِع الرجل بصمتٍ وابتعد قليلا حتى تمالك نفسه ...

وقف مذهولاً، اقترب منها بحذرٍ لا يخلو من بعض الثقة في صديقه الوحيد...

اقترب، وضع أنامله على وجه الفزاعة، نظر إلى يده لكنه لم يرَ شيئا، لا أثرلدموع أو دماء ...

ترك المكان مسرعا إلى كوخه، ظن أنها هلوسة فاستسلم للنوم حتى ظهيرة اليوم التالي ...

كالعادة استيقظ على صوت شتائم والده العجوز ينهره:

ـ هيا قم أيها الغبي الأبله؛ لدينا عملٌ كثير...

طرقعة من أصا بع لوسفير توقف المشهد وهو يتحدث ساخراً:

ـ أكثرة مضاجعتك للبشرجعلك تعتقدين أننا هنا نستمتعبالعروضالسينمائية وننبهر كالبشر؟

ضحكة استهزاء وسخرية يصدرها وهو يتابع :

ـ نحن من صنع الرفاهية والمتعة للبشر ليستمتعوا؛ أعتقد أن شيطانتناليس لديها شيئا الليلة.

طرقعات من أصابع ليليث تحرك المشهد وتجعله يتحرك سريعا كأنها تحملجهاز تحكم يسرع المشاهد وهي تتحدث بفحيح ناعم ومزامير تبدأ فيإصدار إيقاعاتها السحرية :

ـ ما له مولاي أصبح عجولاً مثل البشر. !

وعند انتهاء كلماتها يتوقف المشهد المتجسد على الفزاعة التي تحوم منفوقها الغربان وهي تشير للفزاعة وتتحدث بدلال:

ـ أيسمح مولاي أن أكمل له بصوتي باقي الأحداث وهو يرى المشاهد وينتظر كشهريار البشر حتى أدهشه...

وقبل أن ينطق لوسفير تطرقع بأصابعها مرة أخرى ليتحرك المشهد المتجمدوهي تحكي بصوت رخيم :

ـ لم يقترب يومها من الفزاعة؛ إنما راقبها من بعيد؛ يختلس النظر إليهافيراها ساكنة لا أثر عليها ولا تغيير ... يتأملها لوسفير وهي تحت قدميه وابتسامة سخرية ترتسم على ملامحه، يتابع حديثها وهي تزيد من نبرة فحيحها والمشهد المتحرك المتجسدأمامهما في فراغ الغرفة الجحيمية...

ـ أنهى يوم عمله ومع غروب الشمس ذهب إلى غرفته في الكوخ؛ وقف ليلاً أمام النافذة ينظر ناحية الفزاعة؛ الجوّ ساكنٌ هاديء ؛ لا رياح ولا أصوات وضوء القمر كأنّه سُلِطَ عمداً على الفزاعة؛ كمشهدٍ في مسرحية؛ وهويراقب بصمتٍ واهتمام ...

تصفق بيديها ليليث فيشق الأجواء صرير الرياح وتصمت لتجعل المشهديتحدث عن نفسه بالمؤثرات الصوتية وهي تشير إلي لوسفير لكي يتابع...

صوت نهنهةٍ وبكاءٍ خافت يصدر؛ شعر بشيءٍ ما يتحرك في غرفته؛ التفتَبسرعة؛ لمحَ الفزاعة لثوانٍ بعينين تبكيانِ دما ... و اختفت ..

نظر من النافذة وجد الفزاعة مكانها لم تتحرك؛ ظل يتأملها بصمت وانجذاب؛ وأصواتٌ من داخله تحدثه؛ هلاوس وكلمات مبهمة وهو يغمض عينيهويمسك رأسه .

تابع لوسفير المشهد بهدوء وهو يسمع تلك الكلمات وهي تغزو عقل ذلك الأبله، ورآه بهدوءٍ يخرج من مكانه؛ و يمسكالمِنجل؛ يذهب لغرفةوالديه، شق صدريهما بالتتابع، واجتث قلبيهما، نظف المكان، و دفن الجثتين بكل هدوء في الحقل ... يذهب لفزاعته ويخبيء فيها القلبين؛ نظر إليها وابتسم؛ وابتسمت له،

ونام تحتها وهو متكور حول نفسه ويغني بصوت خافت لحنا وأغنية بلغة مبهمة لا يعرفها غير من يسكن في الأراضي السفليةويعلم ثقافتهم الشيطانية.أوقفت ليليث المشهد وتنهدت.

ـ كم هم مساكين هؤلاء البشر .

ـ نعم؛ ولهذا أخذت نُسخكِ تضعف؛ تناسلك من البشر أضعفك كثيرا –قالها لوسفير– وضحك بشماتة وسخرية...

ارتبكت ليليث وأخفت ارتباكها بضحكة خفيفة وقالت :

ـ مولاي؛ أنا ضعيفةٌ أمامك فقط..

رغم ذلك لازلت أقوى من بعض ملوكك وجحافلك .

ـ هه ! حسنا سنرى ... ـ قالها ساخرا ـ وأكمل :

ـ إلى الآن لم أرَ ما يدهشني في هذه القصة، و أعرفها؛ لكنّي مستمتع، أنتِ راوية جيدة..

أمسكَ شعرها وجذبها لأعلى وانحنى ليقترب وجهه من وجهها وقال مهددا :

ـ لكن هذا لا يمنع أني أنتظر ما يدهشني يا جميلتي ؛ أفهمتِ؟

تألمت؛ لكنها أخفت ذلك الألم، وما إن تركها اصطنعت ابتسامة قوة وقالت :

ـ مولاي أنت لا تصبر مثلهم تماما .. سترى الآن ..

***

في اللحظة والتو حين نودي باسم "أجاريس" قبل أن تتوقف آخر حروفه كان متجسداً أمام " بعال " راكعا بهيئة أقرب إلىالبشرية، من فرسان الهيكل في القرون البعيدة...وشعره متموج على شكل ناري، ومن خلفه تلك الهالة التي فتحت من الفراغ ويصدر منها أصوات

وصرخات وضحكات إذا وصل ترددها لآذان البشر لأصابهم الجنون من صخبها...

يشير بعال لجحفله بالنهوض وهو يحدثه:

ـ هل أعددت جيش الهلاوس والجنون لتلك المدينة، نريد أن نتلاعب في مخيلتهم قليلاً تمهيداً للحرب الأخيرة..

قالها وعيناه تتوهجان وابتسامة شيطانية ترتسم على وجهه، وهو يتأمل " بايمون" بجانبه ...

ـ نتظر إشارتك أيها الملك الأعظم بعال...

لم يلتفت " بعال " لجحفله وواصل تأمله لبايمان وهو يتحدث:

ـ إذن دعنا نبدأ، دعنا ننفذ خطط مليكنا المخلد لبداية الحرب الأخيرة لاسترداد أرضنا التي خلقنا عليها قبلهم..

ضحكات جنونية مرعبة تنطلق من بعال تشق تلك المنطقة النائية في القطب الشمالي في أقصى أطراف الكرة الأرضية ؛ أرض لم تطأها قدم إنسان من قبل

***

في الغرفة الملكية مازالت ليليث قابعة تحت قدمي لوسفير على عرشه الجحيمي، وهي تبتسم بخبث وتكرر عبارتها:

ـ سترى الآن مولاي ما أقصده...

طرقعة من أصابعها يعود المشهد من جديد؛ الرجل نفسه لكن يبدو أكثر وسامة وذكاءً وأكثر ثقة، يجلس في حانة برفقة امرأةٍ جميلة، تلك المرأة ذاتها التي رفضته، أقنعها بموعدٍ لأنه يريدها في شيء هام ...

اتفقا على اللقاء في الحقل مساءً ... انتظر المساء حتى جاءت له فتاته الفاتنة، أمسك يدها بحجة أنه يريد أن يريها شيئا، سحبها حتى غطتهما أشجار الذرة ...

كان سيبدأ هجومه ويغتصبها، لكن فاجأته بأن احتضنته بشهوة وقبلته قبلة ساخنة وهو مذهول بما يحدث، لكنه في ذاته قرر بعد أن ينتهي منهاقتلها...

نظرت ليليث إلى لوسفير بعد أن أوقفت المشهد وقالت بدلال :

ـ لقد أعطيته المتعة التي لم يحلم بها...

قال لوسفير:

ـ إنها أنتِ إذا .. أيتها اللعينة...

ـ نعم مولاي؛ أنت تعرف أني أصبحت مضطرة لفعل ذلك بعد أن طُردت من الجحيم، أفعل ذلك من أجل البقاء؛ لأنجب نسخةً جديدة،كيف أفعل ذلك مع رجال جنسنا وهم يعلمون حقيقتي !

ضحكت ليليث وأعادت المشهد مرة أخرى...

جثة الرجل غارقٌ بدمه مشقوق الصدر؛ وتمسك ليليث قلبه تخبئه داخل الفزاعة؛ وصوت ضحكاتها تشق السكون، والفزاعة مبتسمة ...

وتوقف المشهد ليبقى متجمداً أمامهما... يتموج فقط في الفراغ المظلم.

نظرت ليليث للأعلى لترى وجه لوسفير راضياً، وقالت وهي مبتسمة:

ـ يبدو أني سأحظى بجائزتي هذه المرة؛ جولةٌ مع مليكي العظيم إلى الأرض.

ـ تعلمين أني أفي بوعودي؛ سيكون لك ذلك...

ـ لكن مولاي هناك شيء بعد...

نظر إليها وهي تطرقع ليختفي المشهد المتجمد و يتجسد أمامهما الحقل في الظلام، والقمر ساطع، وتموج الغرفة بمحصول الذرة،وأصوات الرياح وهي تحف بسنابل الحقل، وعواء ذئاب متكرر وذلك رجل الفزاعة وشخصٌ آخر يطلب منه أن يعاهده بالدم ليصبح رجلا قويا ومحبوبا مقابل أن يهديه قلوب ضحاياه ... شاهد لوسفير الحدث بدهشة، وقلب نظره بين المشهد وليليث التي بدأت بالكلام:

ـ مولاي؛ نعم إنّه أجاريس ملك الهلاوس والتلاعب بالعقول؛ كانت مهمته محددة؛ فقط أن يجعل بطلنا يقتل لا أكثر ثم يتركه؛ لكنه عاهده بالدم ووعده بالقوة...

سكتت قليلا ثم تابعت:

ـ من يدري ماذا كان هدفه! لكن لسوء حظه كنت أنا هناك، وأنهيتُ حياة ذلك الرجل...

صمتت ليليث وتابعت صمت لوسفير وهو شارد الذهن ... طرقعت بأصابعها ؛ اختفى المشهد ؛ و أضاءت الغرفة من جديد

***

مازالت تلك الضحكات المخيفة تملأ تلك الأرض المظلمة، وصرخات وساوس وأصوات همسات تصيب من يسمعها بالجنون قادمة من تلك الفجوة التي تشكلت من العدم، تصاحب ضحكات الملك " بعال"التي توقفت فجأة وهو ينظر إلى جحفله الأمير"أجاريس"ويشير له لينهض، يحدثه وعيناه تتوهجان:

- هل الجيش جاهز ليوزع الهلوسة والخرافة والشعلة التي سيتبعها المعركة الكبرى.

- أنا معي أمير جيوش المردة الغيلان "بايور" ملك المعرفة، إن حربنا متقدمة أكثر مما يتخيلون مولاي "بعال".

- ها "بايور"هذا أفضل من تلك الملعونة مدعية العلم.

قالها بلهجة استنكار وهو يشيح بوجهه ناحية "بايمان " يشير إلى " أجاريس" إشارة لبدء مهمتهم وإشعال تلك المدينة بالفتن والهلاوس والخرافات...

اختفي أجاريس في لحظة من أمامه آخذا معه تلك الفجوة التي اختفت مع صرخاتها وهمساتها في الفراغ ..

وتابع بعال النظر إلى بايمان الصامت بجانبه وهو يضع يديه على كتفه كصديقين بمعاني البشر،ودفعه قليلاً ليتحركا في تلك الأرض المظلمة بجسديهما المشتعلين بنار تتوهج وتخبو في سرعة متواصلة...

بصوتٍ رخيم يتحدث بعال:

- أتعلم "بايمان" الإنسان ضعيف، ولا يؤمن إلا عندما يرى ويسمع، انتظارهم لذلك المخلوق ذي العين الواحدة الذي يمهد للحرب الكبرى يوافق ما أوهم به لوسفير معشرنا، العهود الجديدة...

أراد بايمون مقاطعته؛ لكن منعه وقوف بعال ومتابعته للحديث:

- لا يعرفون المعنى الحقيقي للعين الواحدة، إنهاحولهم في كل مكان؛ لكنهم لا يملكون حاسة ليدركوا..

لا يعلمون شيئاً عن عالمنا الناري أو عن عالم النور الذي يفوقنا بحاسة؛ إلا ما قرأوه في بعض الكتب التي لا تسمن ولا تغني من جوع...

تنهد وهو يُظهرُ ابتسامة على هيئته النارية وينظر إلى بايمون وهو يتابع بلهجة ساخرة لا تخلو من الفضول:

- هيا يا صديقي بايمان للتجسد في هيئة بشر.. أريد رؤية تلك الأرض التي سوف تصنع لها أعظم لحن يثير الحروب والدماء؛ أتوقعها حرباً تذهب بملايين البشر؛ كما فعلتها سابقا مع هتلر...

ضحك بايمون ضحكة شيطانية لا تخلو من بعض الفخر والعزة، أتبعها قائلا:

- سترى بنفسك، أقصد بعينك بعال...

ضحكاتهما الشيطانية المفزعة تزلزل المكان من حولهما وصداها المتكرر يجعلها أكثر رعباً في الظلام الدامس الذي يحيط تلك الهالات وهما يتبدّلان تدريجياً لهيئة بشرية ويختفيان في لمح البصر...

***

– 4 –

جيش الهلاوس

في الغرفة الملكية الجحيمية، أضاءت الأنوار من جديد، ليست مثل أضواء البشر الصناعية، متوهجة كملايين الشهب المشتعلة، متراصة في المكان وتنيره لتضفي جوا من السحر، الأرضية كأنها يمٌّ ساكن لا يتحرك، شفافٌ ترى ما في أعماقه؛ وكأن تحته بركان يغلي فوهته سطح الماء...وعلى كرسي العرش يجلس لوسفير يتكيء بخده الأيسر على كفه، يتأمل ليليث بصمتٍ، وهي تنهض من تحت عرشه، وتلتفت له تتأمله، تطرقع بأصابعها محاولةً استفزازه ليتكلم، لكن نهوضه المفاجيء جعلها تقطع حركاتها، وتجده أمامها في أقل من توقيتات البشر المتعارف عليها، ويحيط خصرها بيديه ويدفعها أمامه بعنف ويقرب شفتيه من شفتيها، وهو يهمس:

- أتعلمين، هذه المرة أدهشتِني...

يختفي من أمامها فتسقط أرضا وهو يضحك قائلاً:

- هل تعتقدين أني أصدقك؟ ما يدهشني ويثيرني هو فقط طريقة عرضك؛ أشهدُ لك أنها أفضل من طريقة شهرزاد البشرية.

قالها وهو يكمل ضحكاته الساخرة؛ هي تنظر إليه من الأرض وتلتف بجسدها كحية تزحف وهي تقطع ضحكاتها بفحيح رخيم يميل للدلال :

- وهل ستتركني ألف ليلة كما فعل ذلك البشري "شهريار"

- لك هذا، فلتكن ألف ليلة بمقاييس البشر الضئيلة، ترى كم ليلةٍ جحيمية ستكون؟ بضعُ ليالٍ؟ إنها كافيةٌ لكِ..

أكمل ضحكاته الشيطانية، وهي تنهض أمامه بقيودها النارية وهمت أن تتحدث، لكن توقفت ضحكات لوسفير وتحولت تعابير وجهه لتبدو أكثر صرامة وقسوة وهو يشير لها قائلا:

ـ فكري في شيء آخر حتى أعود إليك، أريد دليلاً يجعلني أنفذ وعدي بحريتك...

وقبل أن تجيبه، كان يصرخ مناديا بصوته القوي:

– فارجاااااس وقبل أن تسخر كعادتها، كان لوسفير قد اختفى وظهر فارجاس في نفس اللحظة أمامها مباشرة وهو يبتسم وفي يده تلك الشوكة النارية، ويرفع يده عاليا ويدك الأرض بقوة؛ لترتفع ليليث من الأرض وتطير إلى الخلف من قوة رد الفعل الذي خلخل الفراغ وصدمها كموجات بحر لكن في الهواء دفعها حتى ارتطمت بالحائط الناري في نهاية الغرفة بعنف وقهقهات فارجاس ترتفع وهو يقول:

- كم أعشق هذه اللحظات بيننا أيتها الملعونة

***

في أحد الكهوف الجحيمية التي تغطي جدرانها اللافا كأنها دهان يطلي جميع أركانها، وفي أحد أراضيها السبع في باطن الأرض، دائري الشكل أرضيته من الداخل رسومات نارية تتوهج على سقفه العملاق...

هيئاتحيوانية أسطورية وبعضها نصف بشري فقط كانت كرسومات البشر لكنها تتحرك، أو يهيأ لك ذلك، خيال ومواد استخدمت بها لم تصل إليها يد البشر بعد...

همسات تسمعها تصدر من كائنين يقفان في أحد أركان الكهف، أحدهم كان يتكلم بصوتٍ حكيم :

ـ أمون لقد نجحنا وامتلكنا شهوات آسيا بجحافلك تحت قيادة الأمير " سيتيري " ملك الشهوة والخطيئة.

ـ أعلم أيها الحكيم " فاجاسكو "، سيتيري وجيشه من كتائب المردة والعفاريت في طريقه إلى تلك الدولة العثمانية .. سيزود غيلان "زيبار " هناك بآخر تطورات خطتنا .. سنمهد الأمر ستكون في غفلتهم .. قطع همسهم فرقعة ترج الكهف، ولوسفير يظهر من العدم ويقف أمامهما وهو يشير إلى أمون قائلا :

ـ أيها الملك أمون كلام حكيم جحيمنا صحيح،ألن تكون مع أمير جحافلك " سيتيري " فقد قاربت الساعة .

ولا أريد أخطاء ملكنا الأقدم . كان سيجيبه آمون؛ لكن صوت الحكيم فاجاسكو يسبقه وهو يقول :

ـ مولانا المخلد، كل شيء يتم كما هو مخططله،كما تعاهدنا بعد سليمان البشري ..

ـ فاساجو .. – قالها لوسفير بصرامة وهو يقاطعه —

– لا أحتاج للتذكير، فهي أيام لن تعود مرة أخرى نحن ليس مثل البشر لا نكرر أخطائنا ..

يصمت قليلا وهو يتأمل ملوك جحافله المخلصين أمامه ويغير من نبرة صوته إلي وتيرةأكثر هدوءاً :

ـ أتعلم فاساجو أنا أحتاج لزيارة إلى المطهر في عدم وجود "بعال "، أريد أن أرى الملك " سالوس الجبار " قالها وهو ينظر إلى أمون بنظرة حادة، كأنه يخترق أفكار آمون الذي وقف ينظر له بثبات بكيانه الناري والنيران متجمدة لا تتوهج من حوله، يهز لوسفير رأسه وهو يتنهد ويوجه كلامه إلى آمون :

ـ هل تود رؤية المطهر معنا،لترآخر تطورات التعذيب للشياطين المتمردة في أكبر بناياتنا الجحيمية، تطهير الأرواح الخائنة،أم...

يقاطعه آمون سريعا وهو ينحني قائلا :

ـ مولانا ابن سوميا الخالد، الدقائق في عالمنا قد تكون أسابيع في عالم البشر الفاني، لا أريد أن تفوتني اللحظة في رؤية جيوشي تُغرق تلك الدولة بالفجور، بتلبيس الحق بالباطل، إلاإذا كانالخالد يريدني معه في تلك الزيارة ...

أنهى حديثه وهو مازال منحنياً أمام لوسفير.

هز لوسفير رأسه وهو يشير له بالانصراف والتفت إلى فاساجو بعد أن اختفى آمون في لحظتها وهو يشير إلى فاساجو لكي يتحركوا نحو المطهر...

وقف "فارجاس" يطالع ليليث، يضحك وهي تمسك رأسها من ذلك الطنين الذي يغزو رأسها بضراوة بهمسات لغات شيطانية قديمة، وهي على الأرض بعد الموجة الارتطامية من شوكة فارجاس .. ظلت تتألم وتصرخ بشدة:

- أيها الملك كفى أرجوك، هل استعانوا بكلماتك للحن جديد؟تتوقف الهمسات في رأس ليليث، تزيح يديها وترفع رأسها وهي ترسم ابتسامة خبث على وجهها وتحدثه ومزاميرها ترتفع بتلك الموسيقى البشرية المعروفة التي جاءت من قرونهم البعيدة وخلدت حتى الآن...

أصواتٌ بلغةٍ لاتينية تتغنى مع أصوات ذلك اللحن ..

"فورتوناااا .. فيلوت لونااا " فحيح كأنه قادم من أحد مسارح الإغريق، الصوت أوركسترا قادمة من الجحيم تتغنى بتلك الأنشودة القادمة من فرسان الصليب الهاربين من القرن الرابع عشر... أصوات

أوبرا بشرية خلدت .. أوبرا راقت لملاين البشر .. كلماتنصرخلدها التاريخ ..

بدأت ليليث بالنهوض وعيناها تتوهجان وتتلوي كأفعي قادمة من أعماق الجحيم أو حورية كما في أساطير البشرلكن من عالم ناري.

مزاميراها تنشد في أجواء الغرفة أمام " فارجاس " الذي وقف يشاهدها وهي تتلوي وترتفع من على الأرض ببطء شديد...

تتبدل الغرفةلتصبح فراغاً مظلما،تخرج منه الصلبان المعقوفة، تلف من حولهما وهي تتغني وتتابع بلغة سحيقة :

."ستاتو فارابيس ... سيمبير كريتشيس"
أنت متقلب ...أحيانا تمنح وتزيد ..
"أُوت ديكريتشيس .. فيتا تيتستابليس"
دائما تمنع وتنقص .. الحياة بشعة
"نونك امبدورات بيداونك كورات "

أولا تقهر .. ثم تغدق بسخاء ..

يرفع فارجاس عصاه بكلتا يديه ويلف حول نفسه عدة مرات في سرعة كبيرة كإعصارقادم من أرضٍ من أراضيها السبع لم يكتشفها بشري ..

مازالت مزامير ليليث تنشد، تقاطعها مزامير ترفع وتيرة الإيقاع الموسيقي القادم من عالم ابتكر هذه الفنون، وله ملوكه ومعلميه...

أهل المعرفة ـ هكذا قالها فارجاس ـ وتابع على أنغام إيقاع تلك الأوبرا الشهيرة بلغتهم الجحيمية :

ـ "سورس إيمانيس .. إيتا يانتيس"
مصيرك موحش .. فارغ كالفراغ ..
"روتيتو فوتوبيليس .. سيمبر ديسملوبايليس"
يا لعبة القدر الدائرة .. ابتلائي للزوال ..

" سانتوس مالوس .. فاناااسالوس "

حاقدة حاسدة .. حياتك زائلة للعدم...

ضحكاته الشيطانية تخترق المزامير وتوقفها مع توقف دورانهوتهدأ الحفلة الشيطانية.

لا زال يضحك، وليليث تقف مميلة رأسها على أحد الجنبين مع عودة الغرفة الملكية إلى طبيعتها.

ـ أعلم أني لا أستطيع مجاراة ملك مثلك .. قالتها وهي تقطع ضحكاته وتنظر له بخبث وتتابع:

– ألم تعطهم الكلمات الجديدة؟ ألم تكتبها من لغاتك السحيقة، لغة الحروف التي تتوغل في النفوس مليكنا المبجل.

ضحكة استخفاف من فارجاس وهو يسكتها قائلا :

ـ أنت ملعونة متلاعبة.. إلام ترمين بحديثك هذا، ولم تتدخلين بهذه الأمور التي لا تعنيكِ، أنتِ تتعبين نفسكِ بلا فائدة...

التفت وأدار لها ظهره وهو يتابع حديثه :

ـ تعلمين أني أستطيع قتلك، أنا الملك فارجاس السادس .. آخر من أعطى سليمان البشري مفاتيح الحروف واللغات التي تحكم مملكتنا.

قالها بغضب وهو يرفع عصاه عاليا؛ لكن إشارة من ليليث وهي تقاطعه بفحيح رخيم:

ـ أرجوك الرحمة أيها الملك.. قلت لك من قبل ليس لي قدرةعلى مجابهتك، أعلم أنك مخلص لخالدنا المبجل، لكن...

قالتها بخبث وهي تتأمل فارجاس بتمعن وتتابع :

ـ دعني أسليك بحكاية قد لا تعلم عنها شيئا حتى يأتي مولاي ..

هم أن يقاطعها بضرب عصاه في الأرض كما يفعل دائما، إلا أن ليليث تابعت بسرعة وهي تشبك أصابعها البشرية وتضعها تحت ذقنها وتنحني قليلا كتحيات أهل الشرق وحضارات التنين،تابع فارجاس كلامها الماكر، ويده تتحرك على العصا بعصبيةٍ وتأنٍ في الوقت ذاته...

ـ الأوامرأن ينطلق اللحن من تلك البلاد الفارسية، أصدقاؤك المخلصون يتبعون العهود القديمة...

سيسرقون اللحن ويخلطونه بلغات أرض التنين،إنهم هناك فعلا، لكن ليس لإعطاه لفارسي...

ترتفعمزامير ليليث مع ضحكاتها الفحيحية وأمامها فارجاس يستمع بدهشة...

- هل تود أن أروي لك قصة؟ قالتها وهي تطرقع أصابعها، فيتمثل المشهد أمام فارجاس.

رجل ثلاثيني، بملامح شرقية لا تخلو من الوسامة، يجلس في غرفته، منهمكا بالكتابة على حاسوبه المحمول، يرن هاتفه، يرد بلهفة:

- حبيبتي اشتقت إليك، أين أنتِ... أنت في مدينتي الآن؟ ... إذن سأراكِ غداً...

توقف ليليث المشهد، تلتفت إلى فارجاس، تقول له:

- كنت تقصد هذا الرجل في سؤالك المرة السابقة، أليس كذلك؟

رفع حاجبه مستهينا بها، وهي تكمل حديثها:

- ليس بالأمر المهم، لكن هناك شيء مميز في هذا الرجل، إنه يؤمن بي، يعرف عني الكثير، وكتب عني الكثير، لكنه لا يعلم كل شيء، يعرف ما كُتب عني في بعض الكتب، والمواقع الالكترونية، لكن شغفه

حقيقي، كأنه كان ينتظرني، وأنا لبيت نداءه، لم أستطع مقاومة تلك الرغبة في الإثارة، قدمت له نفسي عن طريق أحد مواقع التواصل الاجتماعي ككاتبة وكمعجبة بكتاباته، تحدثنا كثيرا وتقاربنا، وقررنا أن نلتقي...

صمتت قليلاً وهي تتابع نظرات فارجاس الساخرة، أطلقت ضحكة مدوية وقالت:

- أعلم أيها الملك ما يدور ببالك الآن، أوووه كم هذا سخيف، لكن كما تعرف أنا أعيش مع البشر، وعليّ أن أتبع أساليبهم أيضا، الانترنت والتواصل الاجتماعي والتكنولوجيا أصبحت أموراً طبيعية لدى البشر، إنهم يتعرفون هكذا، ويبنون علاقات جديدة ويقومون أيضا بأمورٍ سخيفة...

غمزت لفارجاس وهي تقول:- ألا يذكرك ذلك بالعين الواحدة؟!

- نعم، وهم بذلك يعتقدون أنهم حققوا المعجزات، لو أنهم يمتلكون نصف علمنا ومعرفتنا، لدمروا العالم بسرعةٍ أكبر...

- صدقني أعرف البشر أكثر من أي شخص آخر أيها الملك فارجاس، إنهم بسيطون جداً، يمكن خداعهم بسهولة، حتى ذلك الرجل، لم يكن مختلفا كثيراً، رغم انجذابي الحقيقي له...

قبل أن يسخر فارجاس كعادته، غمزت له وقالت:

- لا؛ ليس كما تظن، لم يكن عشقا، لكنه شغفٌ متبادل، وجدت متعةً في التعامل معه، اهتماماته مختلفة قليلا عن بقية الرجال، لذلك أعطيته بعض الطلاسم البسيطة وعلمته بعض الخدع السحرية، وبعض فنون الكتابة، وقريبا قد يصبح كاتباً مهما في بلده.

- لقد عشقك وصدقك، وجعلتِه يعاهدك بدمه لإعطائه كل تلك القدرات، لقد أرادكِ بشدة، واشتهاكِ لكنكِ تركته واختفيتِ من حياته، أليس هذا حبا؟

- لا فارجاس، لقد قلت لك، كان انجذاباً وشغفاً، وهو أيضاً لم يحب الفتاة التي كنتها، لكنها كانت تذكره بي، كأنه كان يشعر بوجودي فيها، ليس هناك حب مجرد، دائما هناك هدف، لقد أعطيته الكثير، ولم أقتله لغاية في نفسي، أحتاجه في مهمةٍ ما...

غمزت له، وقالت فلننسَ أمره الآن ولنعُد لأغنيتنا الرائعة عزيزي.

***

في مكانٍ مظلم يقبع بين أراضٍ ست تحت أقدام البشر، أراضٍ لا يملك البشر حواساًتمكنهم من رؤية ذلك المكان الفسيح...

أرضه تغطيها لافا من النيران المتوهجة، كأنك في قمة جبل تحت الأرض، يحيطه كيانات تبدو كأنها بشرية يرتدون عباءات سوداء كتلك العباءات المخصصة لعبدة الشيطان لكنها متوهجة...

يتراصونعلى صفين ولوسفير يسير مع فاجاسكو بينهم ويتابعون سيرهم حتى حافة المكان ..ويحدثه بهدوء :

. إنها فرصة وبعال رئيس المطهر الجحيمي ليس معنا؛ أريد التحدث معك حكيمنا ونحن نشاهد مطهرنا الجحيمي .

أنهى عبارته وتوقفا تماماً عند نهاية الحافة التي تطل على كهوف كثيرة على أرضها سجون وقاعات تعذيب...

أصوات صرخاتٍ وألم مرعبلو سمعها أهل الأرض لفروا وتخبطوا من الهلع والفزع من هول الأصوات...

يحرس المكان كائن ضخم، وحوله الكثير ومن الكيانات غير واضحة المعالم لكن وهج نيرانها المحيط يدل على مكنونها ..

كان بعضهم يندفع داخل الكهوف، يُخرجون كيانات أخرى يميل وهجها الى الأزرق، تختلف قليلا عن بقية ما حولهم ..

يخترقون أجسادهم، يندمجون مع نيرانهم، وأصوات الآهات تنتشر، وذلك القائد يرفع أسواطه النارية التي لم ترَ عينا مثلها وهى تخترق تلك الكيانات الزرقاء التي تصرخ بلغات الشياطين التي لا يعلمها إنسي على وجه الأرض...

ـ "سالوس الجبار" أراه سعيداً بعمله هنا.

قالها لوسفير وهو يتابع ما يجرى من أسفله دون النظر إلى فاجسكو الحكيم الذي أجابه بهدوء :

ـ مولاي، أنت تعرف هؤلاء القوم، وأنهم يستحقون وجودهم هنا؛ المطهر صنعته من أجل حماية عهودنا ومملكتنا...

قاطعه لوسفير بهدوء وهو يتأمله ويتفحصه بنظرات بها تحدٍ وزهو وفخر :

ـ حكيمنا أنت لم ترَ ما يدور فوق السموات،لم تصل مداركك أو حواسك لتفهم ذلك، ولا تنسى هزيمتكم ودحركم منمخلوقات السماء،ألم تذكرعهودنا؟ مَنْ لم الشمل، مَنْ وضع القوانين، مَن هزم مليارات من البشر والجن الفانين؟

أنا لم أُهزم فاساجو .. صمت قليلاً عندما وجد نبرة صوته تزداد حدة وتلفت نحو حراس ذلك المكان لبرهة ثم أعاد نظره مرة أخرى إلى الحكيم الصامت وهو يتابع بهدوء :

– لم أُهزم سوى مرة من ذلك البشري سليمان.

قاطعه هنا فاساجو بصوتٍ هاديء :

. سيدي لا تنسَأننا هُزمنا من مهلاييل البشري وأول الجيوش البشرية في ثاني معركة على وجه الأرض بعد موت آدم أبي البشر يا ابن سوميا ..

أشاح لوسفير وجهه من أمام فاساجو، يتابع وصلات التعذيب التي تحدث تحتهم وفاساجو يتابع بهدوءه المعتاد :

. الملعونة التي تركتها للآن هي من ساعدت مهلاييل، خانتنا وعلمته من علمنا ومعرفتنا، إنها خائنة ومتلاعبة، لا تستحق أن تكون من معشرنا.

التفت لوسفير نحو حكيمه وبلهجة سخرية :

. هي لم تقصدني أنا، هل أصابك الزهايمر مثل البشر أيها الحكيم؟أنسيت أجدادك الفانين؟

صمت قليلا وعيناه تتوهجان بريقا وهو يتابع :

ـ أباؤك وأجدادك الذين أنت من نسلهم .. يا حفظة العهود القديمة.. أنسيت من أطلق لعنة ليليث؟وماذا فعلوا بها عندما كنت ألملم جيوشنا؟

هل تريدني أن أذكرك... حسنا؛ سأفعل ذلك .

بإشارة منه يختفي المطهر والحراس من حولهما، أمواج بحر ثائرة.. صواعق وصوت رعد يضرب المكان...

يقفان في الفراغ والمشاهد تتحرك وتتبدل ..

كهوف غير مأهولة في أحد البحار .. هنا يوقف لوسفير المشهد وهو يحدث حكيمه :

-في هذا الوقت لم تكن أنت قد خُلقت فاساجو.. بعد هبوطي من أعالي السماء بأسبوع تقريبا بتوقيتنا الجحيمي...

يصفق بيديه فيتحرك المشهد...

كيانات نارية متجمعة كأنها في اجتماع سري، يتحدث أحدهم :

ـ أناا كبيركم لابولاس .. اتفقت جميع عشائرنا على أن أقودكم أنا بعد موت سوميا، أليس كذلك .

همهم من حوله بالتأكيد... وهو يتابع :

. الذي هبط من السماء بعد أن ساعد أعداءنا مخلوقات النور على دحرنا بعد طرده ولعنه من السماء يريد محاربة البشر الآن ويجمعنا ..

صمت يخيم على من حوله وهم يتابعون حديثه :

. اليوم نحن ملوك هذه الأرض ومعنا جيوشنا وجحافلنا المخلصين، سنتفق على هذا العهد، سنجمع له جيوشنا وندعه يُهزم بعد أن نُعلم البشر صناعة السلاح وإنشاء الجيوش ..

قاطعه أحدهم ببصوتٍ غليظ به استحياء :

ـ سنهزم مرة أخرى ..

قاطعه سريعا لابولاس بقوة وحزم :

. إنها خطتنا وسنتخلص من تلك اللعينة ليليث التي تساعده، نحرقها وعند عودته سنقول أنها خانتنا وأعطت البشر علم المعرفة ..

أوقف لوسفير المشهد هنا مرة أخرى وطرقع بأصابعه ليعودالمكان كما كان، وتحتهم المطهر وهو يتحدث :

ـ أتلك العهود القديمة التي تقصدها فاساجو؟ لقد نفذوا خطتهم لكنهم لم يكونوا يعلمون شيئاً عن خلودي بعد.

وقف فاساجو مذهولاً لا ينطق أمام لوسفير الذي يتابع حديثه بمنتهى الهدوء :

. الفناء مشكلة جميع المخلوقات، أتريد مشاهدة أباءك الأولين وهم يحرقون ليليث، تراها وهي تلقي بتعويذتها، بلعنتها ..

. كفى مولاي؛ لم أكن أقصد شيئا... نحن ضعفاءٌ ولا حيلة لنا أمام مولانا لوسفير الخالد...

قالها فاساجو راكعاً ولاءً للوسفير الذي وقف يتابع ما يفعله سالوس الجبار وجيشه في تلك الكائنات النارية العاصية للوسفير في أكبر معاقلهم في الجحيم...

كان سالوس ذو الرأس الشبيه بالكلب، ملك الجبابرة بهيئته المخيفة وأذرعه العديدة كأسواطٍ تتحرك في كل اتجاه تعذب تلك الكائنات المائل لون لهيبها إلى الزرقة، مازال يتلذذ في تعذيبهم ولوسفير يطالعه من فوق هو يقاطع فاساجو الحكيم الراكع دون أن يلتفت إليه وبصوت يخترق العقول فقط:

ـ حكيمنا، لا أتهمك بشيء، أنا أثق بك وبكل جحافليالمخلصينأتعلم؛ أنت لم ترَ أرواح أجدادك وهي ترتفع إلى السماء بعد فنائها...

يشير له بالنهوض وهو يتابع :

ـ أنا من رأى ذلك من فوق، المشكلة في التفكير حكيمنا؛ الجميع يفكر بالماديات الأرضية، حتى لو كانوا مؤمنين، لذلك يكون حملهم ثقيلاً، لا يدركون ما المرحلة القادمة، لا يمتلكون حاسة مادية تدلهم على ذلك.

صمت قليلا وهو ينظر لفاساجو بحزم ويشير إليه ليتحركا إلى الخارج، يتابع حديث العقول وهما يسيران ببطء بين حراس المطهر.

ـ أتعلم فاساجو لولا عهودي الجديدة وبنائي لتلك المملكة وذلك المطهر لصرنا مثل البشر، ومثل أجدادنا أصحابالعهود القديمة...

أتربهذه الكائنات التي تؤمن بتلك التحريفات التي ضمتها عهود أجدادنا الفانين؛ دنسوا ما قاله أبي "سوميا" أبو الجن.

عندما أنهى كلامه كانا عند بوابة المعتقل الجحيمي ومازال لوسفير يتأمل فاساجو الصامت، هز رأسه وأكمل بهدوء وهو يشير للمطهر:

ـ هولاء العصاة نجمعهم من الأرض وتحت الأرض حتى نصل إلى تلك المعركة؛ تلك التي سنسود بها الأرض، ننتزعها من البشر مرة ثانية...

ألست مؤمنا بعهودي الخالدة؟

يوميء برأسهموافقاً وهو يجيبه :

– بالتأكيد مولاي، كل ما تدبره ينفذ حتى الآن؛ أليس هذا دليلاً على إيماننا بك مليكنا الخالد؟

قالها بدون صوت ولوسفير تتوهج عيناه ويمد قامته بزهو شديد وهو يشير إلى فاساجو ليتابعان سيرهما، ويتحدث بتلك اللغة السحيقة النارية .. لغة أهل اليوم السادس :

ـ هيا نذهب إلى غرفة الاجتماعات، أريد أن نتكلم عن كيفية التخلص من ليليث لأني قد بدأت أمل منها، أنا فقط تركتها حتى تبدأ المعركة الأخيرة ..

قالها وكانا قد خرجا من المطهر واختفيا تماماً في تلك المملكة الجحيمية التي تقبع في أحد أراضيها السبع...

***

- 5 -

جولات على الأرض

بلادالفرس .. إيران، الوقت الحاضر .

مدينة أصفهان .. جسر أو سه بل، منصف الليل.

يشقان الفراغ ويظهران من العدم "بايمون" و "بعال" بهيئة بشرية وملامح من أهل المدينة، حتى ملابسهم لم ينسوا تقليدها تماماً...

ظهرا فوق الجسر فجأة، وقفا قليلا ينظران حولهما، يتأكدان من خلو المكان؛ وأن أحدا لم يلاحظ طريقة ظهورهما ...

وقف "بعال" وهو يشير إلى الجسر ويتحدث بلهجة فارسية متقنة :

- ثلاثة وثلاثون قوسا في هذا الجسر؛ رقمين مجموعهما ستة ، هذا أحد تحفنا القديمة، بناء جنسنا الناري، وغواصيهم من أعطاهم المعرفة،إنهم يحبون تخليد الأسماء، هذا ما تعلموه فقط.

صمت قليلا بعد انتهاء عبارته وعينيه تتوهج بقوة تصدر من نفس تتنظر الانتقام، ثواني قليلة بمواقيت البشر العادية، هدأت ملامح بعال وهو يشير لبايمان أن يكملا سيرهم وبايمان يسأله بلغة العقول وهم في طريقهم إلى هدفهم :

- أعلم أنها قد قاربت أيامهم أيها الملك "بعال" .. كلمات فارجاس السحيقة البهولية، ولحني وبعض الكلمات الفارسية والآرية التي يكتبها ذلك البشري .. سيتساقط المليارات على هذا اللحن يا ملك المطهر الجحيمي.

ضحكات فخر وغرور تخللت رأس بعال وهما يتجاوزان الجسر، وأمام أحد البنايات المطلة على الجسر توقفا وتوقفت ضحكات بايمون ...

رفع بعال رأسه إلى أعلى وهو يحدث بايمون :

– يسكن بالأعلى هو أليس كذلك ؟ ..

– نعم ..

– إذن دعنا نأخذ منه الكلمات، بليث أوشك على القدوم لأخذ اللحن بالكلمات بايمون .

نظر بايمون بدهشة إلى بعال وهو يحدثه :

ـ بليث .. أليس في بلاد الصين يعبث هناك، ما شأنه بهذا اللحن الذي سينطلق من هنا ..

ضحكة من بعال تقتحم عقله وتخرجه من اندهاشه وهو يدفع كتفه البشري ويقول بصوت هادئ :

ـ سأقول لك، لا تخف نحن أتباع العهود القديمة.

أنهى جملته وتقدما وصعدا البناية حتى شقة هدفهم المنشود، تقدم بايمون وطرق الباب ثلاث طرقات ..

لحظات من الصمت تمر، وتسمع حركات خلف الباب، وصوت المزلاج يفتح، يطل شاب يرتدي نظارات طبية وله لحية خفيفة سوداء، في مقتبل العمر، جسم رياضي يغطيه فانلة سوداء، وسروال رياضي أسود، نظر إلى بايمون وبعال بهيئتهما البشرية الكاملة، وأشار لهما بالدخول...

بعد اجتيازهما الباب أوصده وأشار لهما بأن يتقدما إلي صالة واسعة في مقدمة الشقة، سجادها من النوع اليدوي التراثي ...

طلب إليهما أن يجلسا على أريكة كبيرة من الطراز القديم الأثري وبجانبها كرسيين على كل جانب، وتحيطهما اللوحات المنقوشة بلغات غريبة، والأواني المزخرفة بالذهب ونقوشها الأسطورية تملأ الغرفة...

جلس الجحفلان بهيئتهما البشرية بجانب بعضهما، وجلس الهدف على أحد الكراسي وهو يسألهم :

- ماذا تفضلان من الشراب أيها السيدان .

- شكرا على كرم ضيافتك صديقي "أخميار" نحن مستعجلان قليلاً، نريد كلمات تلك الأغنية التي طلبتها منك باللغات القديمة بعد تطويرها بكلمات توهج المشاعر الفارسية الحديثة، والمال جاهز كما اتفقنا ..

يعتدل الشاب في مجلسه وهو يعدل من وضع نظارته بإصبعه، ويخرج من جيبه ورقا مكتوبا بلغات مختلفة، ملحمة جديدة ولحنها الجديد تم تجهيزه لتتغلغل مزاميره داخل نفوس البشر، ليغرقوا هذه المرة الأرض كلها بالدماء، مد يديه يعطي بايمون الأوراق وهو يحدثه :

– أستغرب لماذا تريدون مزج لغات بمعانيها وقيمها بلحن أوبرا عالمي، لا أعتقد أن الناس ستحبه ...

أمسك بايمون الورق منه وهو ينظر إلى الكلمات الشعرية ويلتفت للشاب الفارسي وهو يبتسم ويجيبه بهدوء:

– أنت الشاعر سيدي، من يملك كتابة وترجمة الأسماء والكلمات، معانيها ودمجها، هذا علمك ونبوغك ونحن نقدر ذلك كمجموعة فنية تريد تطوير الموسيقى .

أنهى عبارته بايمان وهو يخرج مجموعة كبيرة من الأوراق المالية الشهيرة لأحد الدول العظمي، وهو يلقيها إلى الشاب الذي تلقفها بنهم وبدأ بعدّها...

نظر بعال إلى بايمون بسخرية وهو يحدث الشاب :

. هل نستطيع الانصراف الآن فقد تأخر الوقت ونريد توصيل هذا العمل الى الشركة المنتجة، ولا تقلق المال أكثر مما تتوقع .

قالها وهو ينهض وبايمون كذلك، مما جعل الشاب يبتسم وهو يضع الرزمة داخل جيبه، وينهض لفتح الباب لينصرف الضيفان بهدوء، ينزلان السلالم بعد غلق الباب خلفهما، وبعد أن ابتعدا قليلاتوقف بايمون ليحدث بعال :

- الآن أين سنذهب، أليس من المفترض وضع اللحن والكلمات مع تلك الفرقة المغمورة، لتصنعه وتشهره ويصبح اللحن الرسمي ...

قاطعه صوت بعال في رأسه وهو يقول :

. لا تقلق ستتناثر الدماء على الأرض والخلجان، سندعها تبدأ من حليفهم، المعركة سيكون مسرحها المنطقة لكن سنغير قليلا.

عند الكنيسة دعنا نقابل بليث وسأكمل لك يا حليف مملكتنا الجحيمية، يا من تؤمن بعهود الآولين ..

قالها والمكان من حولهم يتلاشى، وبدا كيانهما كأنه يحترقويتبدل، ودخان قليل يتسرب للأجواء حتى يختفيان تماماً من المكان.

***

في تلك البقعة من الأرض التي تسمى تركيا في أحد شوارع اسطنبول يجول "ستيري" و"زيبار" بعد منتصف الليل في ليلة خريفية باردة.

يضحك "زيبار" ضحكة شيطانية شامتة وهو يشير إلى شابين في أحد الأزقة...

- انظر "سيتيري" في هذه المدينة حققنا نجاحاً عظيماً... انظر لهؤلاء الشباب، عقولهم فارغة إلا من المخدر والشهوة، انظر كيف يتبادلان النظرات مع تلك المومس...

يضحك كلاهما بصوت لو سمعه بشري لخر صعقاً من الرعب والرهبة .

على الرصيف الآخر تقف فتاة متواضعة الجمال، تظهر من جسدها أكثر مما تخفي، تنظر من بعيد إلى الشابين اللذين يدخنان نوعا من المخدر، دقائق مرت قبل أن يقتربا منها؛ ثم يركب ثلاثتهم في سيارة ويذهبون...

وتملأ ضحكات "سيتيري" المكان... يحرك جناحيه العملاقين وتتوهج عيناه في وجه يشبه الفهد، وهو يتفاخر أمام زيبار:

- ألست أنا شيطان الشهوة بلا منازع، ها هي الحانات ملأى بالنساء والرجال، يتلذذون بالخمر والمخدرات،يستمتعون بأجسادهم شبه العارية، يستسلمون لنزواتهم ورغباتهم التي أزينها لهم...

يضحك زيبار ويقول بشيء من الغيرة:

- نعم أنت كذلك أيها الأمير المعظم، البشر ضعاف جدا، إيمانهم هش وضعيف...

يكمل حديثه وهما يمران من أمام حانة:

- انظر لهاتين المرأتين؛ كيف تتنافسان في إظهار مفاتنهما لإغواء ذلك الرجل الثري... هيا... هياننفث وساوسنا أكثر، فلنزيد المجون هذه الليلة ... يضحكان معاً بسخرية وشماتة...

يقطع الضحكات سيتيري بلهجة أكثر جدية:

- ستكون هذه المعركة حاسمة؛ فما حققناه كان عظيما،أنت غول النساء النفسي، من يعطيهن المتعة وشعورها عندما يتفحصها الرجال، من يلعب على أوتار عشقها لجمالها ولجسدها؛ ومن هنا سننطلق...

النساء سيكون لهن دوراً كبيراً في هذه الحرب، كم انتظرنا ونحن نحضر للمعركة الكبرى...

- نعم معك حق؛ هذا انتصار كبير لبني جنسنا، هيا نتابع مهمتنا.

في شارع آخر، في شقة صغيرة كانت تلك المومس مع الشابين، عراة ثملين غائبينتماما عن الشعور، وقد فعلوا كل ما يمكن فعله من فواحش وسكر وفجور.

فجأة تطلب الفتاة نقوداً، ويرفض الرجلان إعطائها، تثور عليهما، تغضب، تشتم وتسب وتلعن، يدفعها أحدهما، يرتطم رأسها على حافة طاولة زجاجية؛ لتفارق الحياة بسرعة، أمام نظر زيبار وسيتيري

الشامتين، وقد بدت عليهما ملامح الزهو والفخر وهما يتبادلان نظرات صامتة توحي بالسعادة ...

يمضيان في طريقهما، يمران على أحد البيوت، رجل أربعيني يدخل البيت سكرانا، يترنح ويدندن أغنية غير مفهومة؛ يطل على إحدى الغرف؛ حيث تنام فتاة مراهقة؛ يدخل ليغطي ابنته... ينظر إلى ساقيها العاريتين...

يتبادل زيبار وسيتيري نظرات خبيثة، ينفخ سيتيري في الهواء وهو مبتسم يطالع الرجل، بعد دقائق يخرجان من البيت وضحكاتهما الشيطانية تملأ الكون، تمتزج بصوت فتاة تبكي وهي ترجو والدها أن يتركها..

يستمر الجحفلان بالطواف في بلاد كانت يوماً ما تسمى بالامبراطورية العثمانية، جيوشهم من المردة

والغيلان في كل بيت، كل شارع أو زقاق، ينشرون الفساد والشهوات،جعلوا الفاحشة يسيرها القانون.

. أليس هذا إنجازاً نستحق عليه جائزة من مليكنا الخالد يا رئيس غيلان ومردة الجنس، لقد جعلنا البشر يفعلونها تحت أعين الدين وقانونهم الذي كتب بحروفهم البشرية تؤيد ذلك .

أليس هذا انتصاراً لم يتحقق من قبل .

أنهى عبارته وهو يقهقهه بقوة وهم زيبار أن يقاطعه؛ لكن فرقعة في الهواء تدوي، يظهر آمون أمامهم بهيئة بشرية من أيام الفراعنة بتاجه الملكي وجسده المفتول، وقف يتأمل جحفليه المساعدين راكعين أمامه فور ظهوره، يشير لهما وهو يحدثهم :

. عمل جيد .. أوشكت النهاية .

أشار إلى زيبار وهو يتابع حديثه :

-اذهب أنت الآن أريدك أن تحرك جيوش عفاريتك لتملأ عقولهم، تتخللهم حتى في أحلامهم.

تحية يلقيها بامتثاله للأمر ويختفي في لحظة، ينظر أمون
إلى سيتيرى قائلاً:
– ساعة الصفر قاربت أيها الأمير، هل تم إزاحة من
يتبعون العهود الجديدة وإرسالهم الى المطهر.

ـ نعم أيها الملك المبجل، كل شيء كما أمرت، خططنا نفذت، وقاربت النتائج أن تعلن.

قالها وآمون يبتسم ابتسامة غامضة وعيناه تلمعان ببريق ناري به كثير من نشوة القوة والنصر.

**

في نفس التوقيت، وعلى أرضٍ أخرى قريبة من تركيا، تحديداً في سوريا، كان أجاريس وإيبار في مهمتها هناك لنشر الهلاوس والوساوس في النفوس...

في منتصف مدينة دمشق وفي منتصف النهار، وقف كل منهما يتبعه جيش جبار من الجيوش الشيطانية والأرواح السوداء والغيلان الجحيمية، في مشهد لن يصمد أمامه أعتى الرجال البشريين لو أزيح عنهم ستار البصر...

يتحدث إيبار إلى أجاريس:

– سننجح بسهولة في هذه الأرض؛ سننشر سمومنا وهلاوسنا، سنخدر العقول ونشوشها، حتى لا يعرف كل شخص إن كان ما يراه حقيقة أو كذبا...

– نعم يا إيبار؛ الخطة تسير على أفضل حال؛ الناس هنا متخبطون، لا يعرفون شيئاً، لا يهمهم سوى الحصول على لقمة عيشٍ تبقيهم على قيد الحياة.. وويلات الفتنة جعلتهم في مواجهة بعضهم البعض، مهارة خالدنا ومجلسنا الجحيمي جعلت من كلمات دينهم سلاحاً ضدهم .. مثير جداً أن ترى كل فئة من البشر في بقاع الأرض تعتقد

أنها على الطريق الصحيح والباقين ضالين يجب قتلهم وسفك دمائهم لنيل جنات السماء والابتعاد عن الجحيم .

يضحك أجاريس ضحكة شيطانية مرعبة يتردد صداها طنينٍ مزعج يتخلل العقول ويصدّع الأدمغة، يتبعه إيبار بضحكة أخرى خبيثة.

يتأهب الجيش الجحيمي منتظراً إشارات البدأ في المهمة الجديدة، وكل شيطان لا يبدو منه إلا ضحكةً نارية شيطانية مرعبة...

يعطي أجاريس الإشارة لجنوده ويتبعه إيبار؛ لينتشر الجيش انتشارا مهيبا مرعبا؛ ورغم الأجواء الخريفية بدا الجو جحيمياً وكأن زفرات الشياطين والأرواح الجحيمية تنفث نيرانها في الأجواء...

انطلق كلّ منهم إلى هدفه؛ في البيوت، في دور النشر والمؤسساتالإعلامية، شركات الاتصال، والشبكات الخلوية...

تخللوا الأسلاك والموجات الصوتية ، بثّوا السموم في عقول الإعلاميين، وعاملي القنوات الفضائية، تسللوا إلى الهواتف وأجهزة الحاسوب...

أخبار تلو الأخرى، خبرٌ جديد يتبعه خبرٌ آخر يكذبه...

آراءٌ تؤيد هذا وأخرى تبايع ذاك...

يتابع أجاريس من منطقة وإيبار من أخرى، بشعورٍ مشابه من كلاهما، الشماتة، الفخر، الخبث والضحكات الشيطانية...

كل منهما يحارب بجنوده في جبهةٍ مختلفة، والهدف واحد...

تسللت بعض الأرواح السوداء إلى البيوت والجامعات، في المقاهي، والنوادي الثقافية والنقابات، اخترقوا القلوب والعقول، يبثون هلاوسهم والرعب والأحقاد...

ينادون باسم شيطانهم الأعظم ويمجدونه بمزاميرهم التي تخللت خلايا العقول البشرية في تلك المنطقة بنجاح.

ترددات صوتية مرعبة تصل لأجاريس من إيبار الذي كان في منطقة أخرى بعيدة:

– ما رأيك يا ملك الهلاوس؛ هذا جيدٌ جدا حتى الآن، أليس كذلك؟

يضحك أجاريس بشدة

– فلنشعلها أكثر، أكثر؛ قد اقتربت معركتنا يا إيبار، فليغرقوا بالدماء وليحترقوا بنيران الحقد والحروب، سنسود الأرض ونعلي شيطاننا الأعظم لوسفير بن سوميا... هذا وقتنا يا إيبار، هذا زمن الشياطين لا الإنسانية...

هيا بثوا سمومكم أكثر؛ أريد ان أرى دماءً أكثر، فليستبدل الاطفال ألعابهم بالأسلحة، هذا هو زمن الشيطان الأعظم، والمنتظر ذي العين الواحدة...

ضحكاتٌ متبادلة بين الجحفلين بترددات مرعبة، وكأن أثرها ظهر على شاشات التلفاز وقنوات "اليوتيوب" ومواقع التواصل الإجتماعي... انتشرت الجيوش في جميع بقاع البلد العربي بمنهجية مدربة بعضهم ذهب الى الجانب المعارض والآخر إلي المؤيد في البلاد يوسوسون في النفوس هلاوس دينية يبثونها لقطاع من الناس ليحرقوا بيوت من يختلف عنهم.

تسيل الدماء بأياديهم والشياطين تشاهدهم عن بعد...

نيران و طائرات تقصف تحيطها الشياطين .. منازل تنهار .. رؤس تطير باسم الدين،لتصبح المنطقة فاتحةًلإقامة أول خلافة شيطانية على الأرض .

وقف أجاريس وإيبار في السماء بكيانهما الناري الأسطوري الذي لا يستطيع إنسي وصف هيئتهما أو ملامحهماالتي تتبدل بتموجاتٍ نارية، تتغير وتتشكل بين اللحظةِ والأخرى...

يتأملان النيران والانفجارات، والأخبار الكاذبة التي تتناقل وهما يبتسمان.

يشير أجاريسإلى الأرض وهو يحدث إيبار بلهجة ساخرة :

– لقد أوشكالعالم البشري أن يتحول إلى كتلتين متناحرتين، ستنتهى التكنولجيا يا ملك المعارف والعلم، سيعودون إلى الظلام من جديد، سيظهر الموعود حينها، وسنتبعه جميعاً...

ضحك إيبار سعيدا بما يُحدثه جيشهم من انتصارات في نفوس البشر بلا تدخل منهم وهو يجيب اجاريس :

– ملك الهلاوس أكيد لا يؤمن بالعهود الجديدة...

قاطعه أجاريس بسخرية :

ـ نحن من وضع وتعاهد على تلك العهود،نحن نحافظ على جحيمنا الذي بنيناه من بعد موت سليمان، تلك الكائنات الجنية العاصية

زرقاء اللهب التي لم تتفق معنا، كانت تريد سلاماً مع البشر، تريد أن تحكمنا بكلمات سليمان والسماء كما يفعل بنو آدم.

قاطعه إيبار بلهجة احترام وتبجيل :

– أيها الملك لا تذكرنا بالماضي؛ فقد ولى، وكل هذه الكائنات تعذب في كهوف مطهرنا الجحيمي، آلاف السنون ونحن نسيطر، لقد قاربنا على العودة إلى الأرض.

انبعث وهجٌ من عين أجاريس يدل على السعادة من إخلاص جحفله لمملكة الجحيم وهو ينظر إلى تلك البقعة من الأرض التي لم يعُد يوجد فيها سوى الدمار والموت...

**

الكنيسة الأرمنية في أصفهان، في وقتٍ متأخر من الليل، فوق قبتها تقف ثلاثة ظلالٍ نارية لا تُرى بالعين البشرية، حتى أجهزتم المتطورة في

القياسات الحرارية والصوتية لن تستطيع أن ترصد تحركاتهم، أو ترددات أصواتهم ..

لقد تمنى أباهم الأول وحسم الأمر..

أصوات تهمس بترحيب فيما بينهم، و صوت "بليث"يتساءل :

– الملك بعال السادس، والملك بايمون سلطان السحر والموسيقى، هنا معاً بشخصيهما لإعطائي اللحن والكلمات!

أنهى عبارته وهو يعطيهم تحية إجلال ملكية بإشارات البشر وجناحيه المجسمّين خلف ظلاله ترفرف...

– بثاوم ايماثوم ببليث ايهميثوم ..

قالها بايمون وانحنى له بليث راكعاً وهو يتحدث :

– هذا شرف كبير لي أن أكون أمير جيوشك الثمانين من المردة والغيلان أيها الملك العظيم بايمون ..

أشار له بايمون بالنهوض وهما واقفين على الهواء كأنه أصبح أرضا صلبةً تحملهم...

صمتٌ مطبقٌ في ذلك المكان المظلم، إلا من همسات الجحافل التي لا تصل لآذان البشر...

صوت بعالوهو يوجه حديثه لبليث عند نهوضه:

– ياا أمير الكفر والسحر، يا من يلقى الرعب في من يقف أمامك، نعلم ما تقدمه في شرق تلك البقعة من الأرض، أصبحت أكبر منطقة بلا دين يحكمها .. نعرف قوتك من أيام سليمان؛ أعتقد أن حبسك في تلك القارورة الزجاجية وقتها كان لعلمه بقوتك .

أنهى عبارته وهو يلقى لبليث ذلك اللحن في الهواء، يتلقفه بليث وهو ينظر لما داخله مبتسما يتأمل الملكين أمامه وعيناه تتوهجانأملا بالنصر وهو يقول :

– أعتقد أن ذلك اللحن وخليط الكلمات سيجعل البشر يتساقطون بالملايين، سيستخدمون علومهم في حربهم هذه، ستكون حرب إبادة .. وقتها سيأتي دورنا وننقض عليهم ونستعيد ترابنا المفقود منذ خلق ذلك الكائن الطيني.

ضحكات وقهقهات شيطانية تنبعث من المكان وهميضعون ظلال أياديهم فوق بعضها البعض، يتعاهدون لكن بنوعٍ مختلفٍ من العهود؛ عهود شيطانية من عالم سفلي، عالم يسير أبناؤهفوق الأرض وتحتها، في أعماق البحار وداخل فوهات البراكين، يخرجون مع الحمم...

عالم قادم من جحيم أحد أراضيها السبع

وقف فرجاس مذهولاًيعتريه بعض الفضول لمعرفة ما بين ليليث وذلك الكاتب الذي لا زال فارجاس موقناً أنها تعشقه، وأنها تركته لهذا السبب، لبرهة فكر ثم تناسى الموضوع، ضحك ضحكة عالية تخللتكيان ليليث؛ انتفض بدنها وتوقفت متسمرة، وهو مبتسمابتسامة عريضة وعيناه مشتعلتان...

تتبدل الغرفة من أمامه كفراغٍ يحيطه الضباب، لا يظهر منه إلا كيانهما المتوهجان...

أصوات موسيقى مزمارية تنطلق، لحن ممزوج بالنكهة الفارسية بآلاتها الموسيقية تتخللها مزامير أسطورية قادمة من بلاد ما وراء التبت، لم يستطع الإنسان أن يتوصل بعد إلى اكتشاف تلك التراكيب النوتيه، موسيقى تتخلل النفوس عنوةأيّا كانت طبيعتها، طينية أو نارية...

وسط الضباب وقفت ليليث مسحورة لا تتحرك وحروفٌ بلغة سنسكريتية سحيقة وأخرى قادمة من لغات فارس القديمة تلف حول ليليث كحلقات تقيدها.

نظرات جاحظة تشعر بها لكن لا تقوى على الحراك وفارجاس يخرج من جانبيه ذراعان طويلان كأسواط من نار وتضرب الأرض من جانبها لينفجر المكان حولهما بلهبٍ أزرق، ويتبدل الفراغ بينهم وسط الضباب، يجسد مشهداً في أحد الجزر المهجورة في عصور ما قبل الميلاد بآلاف السنين البشرية...

على الأرض مجموعة تلتف حول عمودٍخشبيّ طويل وقد رُبطت فيه ليليث، يداها مكبلتان خلف ظهرها، وكيانات لجحافل ملكية عملاقة وأنغام اللحن يتخلل المشهد كأنه موسيقى تصويرية في أقوى أفلام الرعب لكن من عالم جحيمي .

يوقدون ناراً غريبة الألوان، سوداء فاحمة، حمراء لاهبة مستعرة وأحد كبار الشياطين يلقي كلماته بصوت مخيف بلغة مثل التي تحيط بليليث وهي تتابع المشهد بعينين جاحظتين، ترى نفسها تحترق وصرخات ألم لا تتحملها آذان بشرية أو نارية، أصواتٌ بين العواء المرعب والفحيح الممزوج بالألم، وكلمات تلقيها بصوتٍ غاضب هز أرض الجزيرة حولها وجسمها يحترق:

– لعنتي ستحل عليكم وعلى أبنائكم، أنتم لا تعلمون شيئاً، لقد فات الأوان، لقد خرجت نسختي وستظل لعنة عليكم وعلى جنسكم.

قالتها ورمادها يتطاير في الهواء يمينا ويساراً حتى اختفي، ويخرج من الفراغ خيط نارى يحوم حول الكيانات في سرعة رهيبة ويختفي وسط ضحكات ليليث المرعبة مع المزامير التي تنطلق من فارجاس...

وفي ذلك المشهد، ينطلق صوت أحد الكيانات:

– الأمير سانجيرو وجدوه مقتولاً في أحد الكهوف وحوله طلاسم غريبة

.

عند تلك اللحظة يتوقف المشهد أمامهما في الغرفة ويختفي كل شيء وتعود الغرفة مرة اخرى كما كانت، تختفي الكلمات من حول ليليث التي سقطت على الأرض بعدها مباشرة أمام فارجاس الذي ينظر إليها بحسرة وشفقة وسط اللحن الذى استمر، لكن بصوتٍ أقل صخبا:

–لا أعتقد أنك قد تنسين تلك اللحظة، لحظة إحراقك التي نجوتِ منها بإلقاءِ لعنتك تلك؛ واختفيتِ من وقتها في عالم البشر، تتناسخين بتزاوجك مع أبناء التراب، لقد أخذتِ الوهن من البشر ليليث، أعتقد أن تناسلك منهم قد غير جيناتك؛ أنت ضعيفة وهشة يا نسل الساحرات الملاعين .

يقطع حوارهم لوسفير الذي ظهر في الغرفة الملكية فجأة وهو يصفر على نفس اللحن، أمام دهشة فارجاس الذي انحنى له، وليليث التي تنظر إليه وهي راقدةعلى الأرض...

- يبدو أنكما تستمتعان بوقتكما هنا!

قالها وهو يأمر جحفله بالنهوض، رفع فارجاس رأسه وبدأ يتحدث:

- مولاي، نحن ...

يقاطعه لوسفير بإشارةٍ تعني الانصراف...

- اتركنا الآن فارجاس؛ واذهب لمتابعة أمور جيوشنا على الأرض.

بطرفةِ عينٍ كان فارجاس قد اختفى من المكان...

تنظر إليه ليليث وهي تنهض ببطء نظراتٍ ساحرةٍ عذبة، لا تدلّ إلا على غواية وفتنة، تقترب منه بدلالٍ شديد، تطوّقه بذراعيها وتلفُ

سلاسل رغبتها حوله، تقرب شفتيها من أذنه، وبهمسها القادم من عمق غوايتها تقول:

- مولاي، تأخرت كثيرا عن ليليتو، اشتقت إليك يا مليكي الخالد.

بدا مفتوناً بها، مسلوب الإرادة، مشدوداً لغوايتها التي هي لعنتها الأبدية وقوتها التي قد تُذهب بأيّ عقلٍ مهما كان...

تمرر شفتيها على عنقه وقد بدأ يتحول إلى هيئة جميلة قريبة للبشر، ببشرةٍ حمراء نارية وعروقٍ بارزة وعضلاتٍ شديدة القوة...

وهي في أجملِ هيئةٍ لها؛ بجسدٍ بشريّ شديد الإغواء بأنوثته الطاغية، وشعرها الأحمر الناريّ الذي بدأ لوسفير بلمسه، متأثراً بفتنتها...

لحظات من الافتتان والانجذاب الذي أنكره لوسفير على نفسه بضحكةٍ عالية شديدة السخرية، وقد شدّ شعرها الذي يمسكه بين

يديه بقوة، وكأنه يخفي آثار تلك اللحظة التي شعر فيها بأنّه مسلوب الإرادة...

- هل آذيتُ مشاعرك يا جميلتي؛ لا تعتقدي أنّي ممن يقعون في فخك بسهولة، لا أنكر أنك فاتنة، بل إنك أجمل مخلوقٍ أراه...

لكن ليس الآن، سأفعل ما أريد وقتما أشاء أيتها الشقية المتلاعبة، وليس لأنك تريدين ذلك، أنسيتِ من أنا...

يترك شعرها بعد أن رأى ملامح الألم على وجهها وقد امتزجت بابتسامةٍ مغرية...

جذب رأسها بقوةٍ نحوه وقبل شفتيها قبلة نارية عنيفة، ثمّ دفعها أرضا؛ لتجثوَ تحت قدميه...

- أعتقد الآن أنكِ فهمتِ ما أعنيه "ليليتو"، لا أنكر أن نسختك الأصلية من وقفت معي،ساندتني بعد هبوطي إلى الأرض، لكن أنت

فقط تمتلكين ذاكرتها وكل ذكريات النسخ السابقة، أنت ملعونة وفانية ليليث، ألا تدركين ذلك.

ظلّت ساجدة تحت قدميه متذللة له وقد بدا في تلك اللحظة أكثر عظمة، وأشدّ قوةً وفتنة وهيبة...

- مولاي لوسفير بن سوميا، الخالد المبجل، يا مخلصنا ومليكنا الأعظم، انكساري وسجودي تحت قدميك ليس ضعفا، يا ملك النار وحامل النور، أنا خادمتك المطيعة فافعل بي ما تشاء، وقتما تشاء...

بعد لحظاتٍ أمرها بالنهوض، وأشار لها أن تتبعه إلى عرشه...

وصل إلى العرش، جلس عليه بكبرٍ شديد، وجثت تحت قدميه راضيةً سعيدة...

- ماذا لديك اليوم ليليث؟

- مولاي أنا تحت أمرك، ولا زال لديّ الكثير من القصص والحكايات المثيرة لمليكي...

- حسنا؛ أنا انتظر منك ما يدهشني، وتذكري كم أنا صبورٌ.

- مولاي، صبرك وعطفك عليّ لن يذهبان هباءً، وستكتشف بنفسك ما أقصد، وأني من أكثر أتباعك إخلاصا لك...

لكن لا بأس؛ فالزمن وحده كفيل بكل شيء، ولنبدأ سهرتنا، هل أطفئ الأنوار؟

طرقعة مزدوجة من لوسفير وليليث ويعمّ الظلام...

***

في كهفٍ كبير في وسطه حمم تسير كبحر أمواجه عاتية من عالم ناري مشتعل وعلى أحد ضفاف الكهف الناري وقف فارجاس أمام فاساجو وهو يحدثه بصوت يكن الهيبة والاحترام لحكيم المملكة :

– ملكنا لوسفير تصرفاته غريبة، وخصوصاً مع الملعونة،أخاف أن تثير الفتن داخل مملكتنا، لا أعلم لماذا أيها الملك الحكيم لازال يحتفظبتلك المستنسخة بعد أن وقعت في أيدينا أخيراً.

ابتسم فاساجو بصوت رخيم يدل على حكمته :

ـ لا تقلق فارجاس أعتقد أنها أخر ليلة لها، لقد وعدها بألف ليلة بشرية، لكنها لن تكتمل...

وقف فارجاس يصغى إلى كلامه الحكيم و فاساجو يتابع حديثه :

– هي خطة فقط لإبعادها عن الأرض، المعركة العالمية بينهم اشتعلت فارجاس، كلماتك مع اللحن أشعلت النفوس، انقسم كل البشر إلى حلفين الآن، أرأيت كيف وحدناهم بعد كل التفرقة التى نفثناها بينهم في كل تلك السنوات.

إيماءةمن رأس فرجاس بالطاعة وإعجابا بحديث الحكيم الذي تابع :

- لقد اقتربت عهود أجدادنا الأولين أن تتحقق.

- نعم أيها الملك، أنا أؤمن بقراراتك، وأعتقد أن الملك بعال أسعد مخلوق ناري الآن .

قالها وهو يبتسم بخبث لفاساجو الذي ارتسمت عليه الابتسامة ذاتها، وبدءا بالاختفاء ببطء من الكهف الناري.

***

في الكهف الملكي، تبدأ المزامير الساحرة تتخللها مشاهد متلاحقة، ثلاث فتيات جميلات ... سيارات فخمة، ملابس ومجوهرات، حفلات راقصة، مشروبات مُسكرة ...

ينظر لوسفير إليها ثم يخاطبها قائلا :

. إنها قصة تافهة... مراهقات كان إيقاعهن في الفخ سهلاً؛ إغراءات تلهث خلفها نساء البشر، الغيرة والمنافسة والانتقام إنها من طباع الإناث، وقد تؤدي بهن للقتل أحيانا ...

. حسنا مولاي؛ لم لا نشاهد القصة معاً، ونحكم لاحقاً ...

تأفف لوسفير قليلاً وهو يقول لها :

. لا تقلقي سنشاهدها .. أعتقد أن هذه آخر قصةٍتؤدين فيها دور الراوي والإخرج الفني المبهر الذي لا يخلو من التزييف بالتأكيد...

همت ليليث أن تقاطعه لكنه أوقفها عندما نهض من مقعده بسرعة البرق قبل أن تفتح شفتيها كان أمامها وهو يمسك خصرها بكلتا يديه ويشم شعرها الطويل المنسدل حتى يصل الى أذنها ويهمس لها بفحيح قادم من ملك خالد سقط من السماء ولعن من جميع المخلوقات..

صوت كلماته تلاعب في رأس ليليث حينها وتسمرت :

ـ هذة ليليتك الأخيرة، وكما في قانون البشر .. لك أمنية .

كلماته تخللت عقلها، أنفاسه تمر في دمائها النارية، يسيطر عليها.. لا تقوى على الحركة وهو يلتف حولها ببطء شديد كلقطة في فيلم ماتريكس العالمي وهو يكمل حديثه :

ـ نفثة مني أرايت ماذا فعلت، أنتِ ضعيفة مثلهم ليليث.. أنا أشاهدك، أراقبك، تركتك لهدف.. أنت شعلة التكنولوجيا للأرضيين ليليث.. نعم تشبهينها كل مرة؛ لكنك لست الأصلية .. أنت الملعونة التى أتت من تعويذة.

يتوقف المشهد لثوانٍ، وسوسة شديدة تجتاح مخيلتها كمليارات الأصوات تهمس:

ملعونة .. ملعونة تريد أن ترفع يديها لكنها لا تستطيع، حتى ملامح وجهها متسمرة، حدقتاها مفتوحتان على آخرهما، ولوسفير من خلفها يسبح ببطءٍ في المشهد المتجمد وهو يكمل وسوساته في عقلها :

- أجدادكم الأوليين ينتظرون الانتيخريست وتعتقدون أني منتظر بلعزبول .. ابن الشيطان كما العهود الجديدة ..

ضحكات عنيفة تنفض جسدها وهو يلتف حولها ويقف أمامها، جناحان أسودان عملاقان يخرجان من ظهره وهو يرفع يديه بإشارة فترتفع يداها في وضع الصلب بقيودها الملتهبة وهو يحدثها بصوتٍ مخيف:

- أنا الخالد ليليث.. أنا الموت يخشاني.. أنا لست نسخة متكررة.. العين المنتظرة تتلاعب بهم الآن.. في كل بيت.. إنها التكنولوجيا ليليث.. الأرض أصبحت جحيماً..

صمت قليلاً ومال برأسه وهو يطالعها بابتسامة ساخرة ويطرقع بأصابعه فتختفي قيودها وتنخفض يداها، وتخرج من بين شفتيها تلك الكلمة التي كانت تريد أن تقاطعه بها قبل أن ينهض من عرشه:

. انتظر مليكي...

نطقتها وهي تسقط بعد أن تحرر جسدها من استحواذه، ضحك بعدها لوسفير وهو يحدثها بلهجة شفقة :

. هذا درسلتعرفي أن الخالد واحد فقط على هذه الأرض.. هياانهضي وأرِني آخر تطورات قصتكبإخراجك الفني.

قالها وهو يعطيها ظهره ويسير إلى عرشه، تنهض ليليث ببطء وعند اكتمال نهوضها تطرقع عنقها يميناً ويساراً وتنظر إلى لوسفير الذي كان يجلس على عرشه مبتسما ويشير لها بيديه لتبدأ فيلمها الأخير...

تقدمت بمزامير تصاحب خطواتها وهي تهمس بفحيح :

. خادمتك مولاي رهن إشارتك في كل وقت.

تنهي عبارتها وهي أمامه تماماً وتصفق بقوة ليشق الفراغ بينهما لوحاً شفافاً مثل شاشات السينما الكبيرة لكنها من نوع آخر قادم كأنها قادمة من المستقبل...

ساد الظلام وخرج وهجٌ أبيض بينهما على ذلك السطح الشفافالذي يحول بينهما، ثم يبدأ المشهد...

في غرفةٍ كبيرة لإحدى الفتيات الثريات ومعها صديقتيها؛ يدخنّ السجائر سراً؛ تبدو إحداهن أكثر تحفظاً وخوفاً وهي تجرب السيجارة للمرة الأولى بإلحاحٍ من صديقتيها ...

يبحثن في الإنترنتعن ألعابٍ جديدة ليمارسنها حتى وجدن متعتهن في لعبةٍ كُتب عليها " تعاويذ سحرية "

رغم التحذيرات في الموقع الذي ولجنه إلا أن فضولهن كان أقوى ...

أحضرن أقلاماً وبعض الأوراق، قلدن الرسومات والطلاسم التي كانت على شاشة الحاسوب؛ نطقن بحروفٍ لم يفهمن منها شيئاً...

الخطوة الأخيرة (اجرح يدك وانزف دماً)

توقفن عن العبث وضحكن حتى ارتمين على السرير من الضحك.

بعد وصلةٍ من الضحك الشديد قامت إحداهن وقالت :

. عليّ أن أذهب الآن، تأخرت وستقلق أمي.

. لا، إبقي قليلا، سنوصلك نحن. "قالت إحدى صديقتيها"

. أنتن تعلمن، أنا من بيئةٍ مختلفة وأهلي ليسو "فري" مثل أهلكم.

ستكون فضيحة في الحارة إن عدت متأخرة.

قمن لإيصالها إلى باب "الفيلا" قابلهن عند الباب شابٌ وسيم تعرفه الفتاتان.

ينظر إلى الفتاة البسيطة بإعجاب ؛ ويقول :

- ألن تُعرفاني على صديقتنا الجميلة.

توقف المشهد ليليث هنا وهي تنطق من خلاله بفحيح:

- إنها النظرة الأولى مولاي؛ ألم يعشق مليكي من نظرة واحدة؟! وتضحك؛ حتى أسكتها لوسفير بنظرة متوهجة صارمة وهو يتحدث من كرسيه بكل برود:

ـ إخرسي أيتها الشقية وتابعي، لست أعترف بتلك الحماقات، ليس حباً، إنها الغريزة والشهوة ما تحركهم؛ ألم ترَي كيف كان يراقب جسدها!

وكل أولئك الرجال الذين أغويتهم، لا تقولي أنهم عشقوا روحك.

يضحك باستهزاء ثم يكمل :

لو أنهم ينظرون إلى الروح لما وقع أحدهم في فتنتك، كل ما يعنيهم هو الجسد والمتعة، هيا تابعي ...

تطرقع بأصابعها ليعود المشهد يتحرك أمامهم على تلك البلورات التي لم يصل البشر إلى معرفةٍ كافية لاستخدامها...

نظرات حقدٍ من إحدى الفتاتين بينما يتطوع الشاب ليوصل تلك الجميلة، رغم ممانعتها إلا أنها استسلمت لإلحاحه.

تتلاحق الصور بسرعة على بلورات العرض كأنها لقطات للإعلان عن فيلمٍ سينمائي ؛ ليبدأ مشهد جديد ...

حفلٌ صاخب؛ فتياتٌ شبه عاريات؛ دخان ومخدرات ومشروبات مُسكِرةفي بيت الفتاة الثرية التي استغلت سفر والديها...

تظهر الفتاة الفقيرة وقد ألبستها صديقتها فستاناً قصيراً مثيراً يُظهر بعض مفاتنها رغم بعض الخجل الذي بدا عليها؛ إلا أنها حاولت إخفاءه لتجاري صديقاتها وهذا المجتمع الصاخب.

في زاويةٍ ما تظهر الفتاة صاحبةُ الحفل مع صديقها الوسيم تهمس له :

ـخذ هذا الكأس وضعت فيه تلك الحبة، لن تشعر بشيء؛ وجهزت لك غرفة جميلة ...

. حبيبتي، تعرفين أنك مختلفة، وأعدك أنها ستكون فقط هذه الليلة؛ أتسلى بها ثم أكون لك وحدك ...

أشاحت بوجهها كأنها مضطرة لتفعل ذلك؛ فقط لتكسب وده ...

يذهب الشاب إلى تلك الفتاة؛ يناولها الكأس، بتردد تأخذه وتشرب...

صوت الموسيقى جنونية؛ أصابها دوار خفيف وبدأت تتمايل على الأنغام الصاخبة...

يمسك يدها ويأخذها إلى الطابق العلوي ...

توقف ليليث المشهد مرة أخرى، تهز رأسها بإيماءة بالموافقة، وهي تنظر إلى لوسفير ...

ـ معك حقٌّ مولاي، إنها الغريزة والشهوة فقط هي ما تتملك البشر.

صمتت لثانية وأكملت: ـ وبعض الشياطين أيضاً...

ـ ماذا تقصدين؟!

ـ لا شيء مولاي؛ دعنا نكمل هذه القصة.

. إنها قصة مملة؛ ثم إني أعرفها؛ بعد اغتصابها ستنتقم منهم وتقتلهم، إنه حب الإنتقام والشر الذي يظهر فجأة في لحظات الضعف، نحن نستغل لحظاتهم تلك لجعلهم يفعلون ما نريد ...

. مولاي؛ هدفنا هو تدمير نفوس البشر ومساعدتهم على الدمار والخراب، دمارهم وخرابهم، ليس دمار مملكتنا ...

. إذن !

. يبدو أن مولاي قد نسي أمر تلك التعويذة التي نطقتها الفتيات، لم تكن مجرد لعبة ...

كانت تعويذة حقيقية لكنها لم تكتمل، كان ينقصها إراقة الدم،

أرِق دمك تَنَلْ قوة شيطانية لا يمتلكها البشر! ويرتبط مصيرك بمصير الشيطان صانع التعويذة؛ لا تموت إلا بموته ...

حسناً سأريك مولاي ...

بحركة منها تتخطى بعض المشاهد التي تمر سريعاً بلقطات مختلفة كأنها تسيّر الزمن تقدّمه كما تشاء، حتى تظهر الفتاة في غرفة بيتها؛ متكورة على سريرها، تبكي ما أصابها بندم، تبدو شاحبة واهنة وكأنها تتعاطى المواد المخدرة ...

تقوم فجأة من سريرها، تقف أمام المرآة؛ تنظر إلى نفسها بحزنٍ و حسرة، تحدق طويلاً، وكأنما شيئاً ما يحاورها صمتاً ...

تخرج من الدرج شفرةً حادة؛ تجرح يدها وتقع أرضا نازفةً بشدة.

هنا تقاطع ليليث المشهد وتقول بسخرية :

.كان يكفي بضع قطرات ولا داعي لهذه الفوضى، وتضحك بشدة ثم تطرقع بأصابعها فيختفي المشهد لثانية، ويعود لمشهدٍ آخر؛ في غرفةٍ في أحدِ المشافي الحكومية؛ ليلاً حيث نام الجميع، تنام الفتاة على سرير كأي مريض.

هدوءٌ شديد لا يخلو من بعض الأنّات الخافتة لبعض المرضى...

فجأة تفتح عينيها؛ تنزع أنابيب الدواء والأجهزة الموصولة بها؛ تقوم عن السرير، وتخرج من المستشفى ...

مشهدٌ آخر؛ إحدى الفتاتين جالسة في غرفتها تحادث صديقتها الأخرى وتبكي ...

ـ أرأيتِ ما حدث بسببك؟ ها هي الآن بين الحياةِ والموت، انتحرت بسبب فعلتك ... كم أنا نادمة أني لم أمنعكما ...

فجأة تسكت؛ تنصت وتتلفت حولها؛ تقفل الهاتف في وجه صديقتها،تنظر حولها بقلق وتنادي :

ـ من هناك ؟

لا أحد يجيب ...

تذهب لتنعش نفسها بحمام دافيء؛ تنزل تحت الماء وتغلق ستارة الحمام ...

بعد قليل تنطلق أغنية من تلك الأغاني الصاخبة التي يسمعها الشباب في حفلاتهم الماجنة...

ترتعد الفتاة تحت الماء؛ يخطر ببالها أن جهاز الموسيقى عمل تلقائيا ...

أرادت الخروج؛ فتحت الستارة؛ ظهرت لها صديقتها بثياب المرضى؛ وعلامات الموتِ على وجهها؛ لم يكن يبدو عليها أي ملامح تدل على أنها حية ...

لم تعطِها فرصةً لتصرخ، بحركةٍ خاطفة أمسكتها من عنقها، ألصقتها بحائط الحمام وهي تخنقها وتشعربشهقاتها تخرج منها، تحاول أن تعتذر أو تطلب العفو؛ لكنها لم تستطع ذلك ...

لم تتركها حتى خرجت روحها وماتت وفي عينيها علامات الرعب ...

تتوقف ليليث لتراقب ملامح لوسفير الذي بدت عليه بعض الدهشة، وبعض الشك.

أومأ لها بصمتٍ أن أكملي ...

طرقعت بأصابعها مرة أخرى ليتغير المشهد و يظهر ذلك الشاب برفقة تلك الفتاة يستمتعان بالسباحة في بركةٍ خاصة "بالفيلا" التي يملكها الشاب...

ظهرت أمامهما من العدم ليروها تقف على حافة البركة تنظر إليهما بنظراتٍ لا تفسير لها ...

توقفا عن الضحك والمداعبات ونظرا إليها ...

أرادت الفتاة أن تتكلم ؛ لكن سبقتها قائلة :

"تابعا السباحة واللهو، جئت فقط لأشاهد...

لم يفهما قصدها؛ فجلست على الحافة وأخذت تلعب بقدميها بالماء...

ـ ماذا بكما ؟ لماذا توقفتما؛ أليس هذا ممتعا ...

وقفت من جديد، وهما كأنهما قد تجمدا داخل الماء ...

فقالت: حسناً؛ استمتعا سأذهب من هنا يبدو أني قطعت خلوتكما.

غمزت للشاب: ـ احتضنها جيداً لأنكما سترتعشان بشدة ... وضحكت ضحكةً جنونية ...

وقبل أن يبديا ردة فعل ألقت في البركة سلكا موصولا بالكهرباء كانت قد خبأته خلفها...

لتشاهد ضاحكةً جسديهما يرتجفان بشدة من الكهرباء، ثم تسير ببطءٍ وهي تستمتع بموتهما المريع ...

ينتهي المشهد بتصفيقٍ بطيءٍ من لوسفير وتضيء الأنوار وتختفي المشاهد من أمامهما، ويميل رأسه وهو يصفق كأنه يحيي ليليث على هذا العرض.

تضحك ليليث وتقول :

ـ أوه مولاي ؛ لا تخجل تواضعي ...

ـ حقيقةً أعجبتني القصة من زاويتك هذه؛ لكن ما أعرفه أن هذه الفتاة قد ماتت؛ كيف وقد ارتبط مصيرها بذلك الشيطان الذي الذي تقولين أنه صانع تلك التعويذة ؟!

ـ مولاي؛ يا مليكي العظيم، حسناً، عدم صبرك هذا يزيدني حماسةً لإدهاشك ...

ببساطة يا مولاي؛ ذلك الشيطان الأرعن الشقي قد مااات ...

قالت كلمتها الأخيرة بتلذذ شديد وهي تقترب من عرشه و تقرب وجهها لوجه لوسفير ...

لتكمل بعدها :

.كان شيطانا جاهلاً؛ ووجدتها فرصة جيدة لي؛ أغويته بجمالي؛ لم يقاوم رغبته ، فكما قلت أنت يا مولاي؛ الأمر متعلق بالرغبة والمتعة والغريزة ...

وأنا كما تعلم لا يصعب علي هذا الأمر؛ من يقع فريسة غوايتي ويعاشرني يموت، إنها لعنتي، قالتها مع غمزة، ثم قالت :

. وقتها كان قد مر عليّ زمنٌ طويل لم أتزاوج من أبناء جنسي؛ كانت فرصةً ولم أفوتها...

ونسيتُ أن أخبر مولاي، أن ذلك الشيطان كان أحد أتباع الملك المخلص "فاساجو"؛ لكن صراحة لا أعلم إن كان يعلم جحفلك المخلص شيئا عن حماقات بعض أتباعه...

تضحك بشدة وينظر لوسفير لها بإعجاب ...

ـ أنتِ شيطانةٌ لا يستهان بها أيتها الفاتنة ليليث، كيف لم أدرك أنها أنت، نعم لقد وجدوا جثتها محترقة تماما حينها، كانت جريمة غامضة في ذلك الوقت "الاشتعال الذاتي"...

ضحكات وقهقهة عالية يطلقها لوسفير وهو يتابع :

ـ مشكلتك أنك مازلت لا تعرفين من هو الخالد، ذاكرتك المتناسخة يصيبها الزهايمر أحيانا.. أنا من يعلم ويُعلم كل شئ في العالمين ..

ثوانٍ من الصمت، ينظر لوسفير إليها، وقد بدت سعيدة ومندهشة كأنما حققت نصراً ما، وإن كان صغيراً...

- حسناً؛ تعرفين أنها ليلتك الأخيرة حسب المواقيت البشرية.

- لكن مولاي، لازال لدي الكثير لأرويه لك؛ وألف ليلةٍ بشرية لا تكفي...

- لا؛ هذا كافٍ، ثم إنه قد حان دوري لأكون أنا الراوي، ألا تريدين جولةإلى الأرض؟ ألم أعدك من قبل .. لوسفير لا يخلف وعوده أبداً.

توهجت عيناها فرحاً...

- مولاي أنت تعلم أني أنتظر هذه اللحظة منذ زمن؛ وأن هذا شرفٌ لا يناله أيّ مخلوق... أنا تحت أمر مولاي المبجل لوسفير...

– 6 –

بداية النهاية

لم تكَد تنهي كلماتها حتى صفق لوسفير، لتموج من تحت قديهما الأرض، تتلاشى كأنها دخان، تبدلت أرضاً غير الأرض، سحب الدخان بدأت تتضح أكثر وكأنها غيومٌ شاهقة... في ثوانٍ وقبل أن تدرك ليليث ما يحدث نظرت تحتها، كادت تهوي؛ بحركةٍ خاطفة أمسكها لوسفير، ترنحت قليلا حتى استقرت بين جناحييه العظيمين... في مشهدٍ حالمٍ ساحر، يتحرك السحاب من تحتهما، والأرض تبدو من بعيدٍ أجمل...

– أشتقتِ لتلك الأرض ليليث؟

– مولاي...

– لا؛ لا تقولي شيئاً... دعيني فقط أريكِ ما يحدث على هذه الأرض، بلا طرقعة أو تصفيق وبلا انطفاء الأنوار... سترين حقائق فقط! .

حلق بها لوسفير فوق الصحاري والجبال والبحار؛ فوق قرىً فقيرة لمتصلها الحضارة، ومدنٍ فارهةٍ عالية البنيان، فوق مساجد وكنائسوصوامع ومواخير وملاهٍ ودورِ دعارة...

فوق أرضٍ من أراضي قارة أمريكا الجنوبية توقفا، انخفض لوسفير حتى اقترب من أرضِ تلك المدينة المرتفعة عن سطح البحر، حيٌّ شعبيٍّ فقير... أطفالٌ حفاةٌ وشبه عراة، مسنون لا تبدو عليهم ملامح الحياة... مومساتٌ بين الأزقة يبعن الهوى بأرخصِ الأسعار، وتجارُ سلاحٍ ومخدرات تطفحُ جيوبهم بالنقود...

في حيٍّ مجاور، اقترب لوسفير من مبنىً حكومي، بالتحديد كُتب عليه "مركز مكافحة الجريمة" يدلفُ المبنى أحد أولئك التجار، يصافح الضابط بود، ويضع في جيبه مبلغاً من المال...

يراقب لوسفير وليليث هذا المشهد، بلا استغراب، لكن باستهزاءٍ وشماتة، وضحكات خبيثة على وجهيهما... وهو يحدثها من داخل المبني، أمام الرجل وهو يبتسم للظابط بعد إعطائه الرشوة:

. مساكين لا يعلمون أن الفساد أصبح حلالاً بفضلي، عُميٌ لا يدركون أننا نراهم من حيث لا يدرون.

يمسك يدها ويختفيان من المبني، ينطلق بها بسرعةٍ خارقة، يحطّ في أرضٍ أخرى في قارة قديماً حملت العجائب والحضارات، ولكنها الآن ليست أفضل حالا من السابقة؛ خيامٌ متناثرة، نساءٌ وأطفالٌ كثر، ورجالٌ لا فائدة من وجودهم... ليس ببعيدٍ من أرضِ الخيام؛ مساحاتٌ كبيرة مدمرة بالكامل، الشجر والحجر والبشر سواء...

الهواء ملوثٌ قذر، لا مشهد يستحق المشاهدة، لا زُرقةَ في السماء الضبابية، لا أصواتَ للعصافير والبلابل، فقط صوت أزيز الطائرات التي تجول في المنطقة طوال الوقت، ودوي انفجارات بين الفينة والأخرى... في لحظة وقوف لوسفير و ليليث على تلك الأرض في أحد مدن بابل، منطقة يتصارع فيها فتي من نفس العقيدة وتساعدهم عقائد أخرى تكبيرات في الهواء، طلقات تخترق الهواء وتمر بجانبهما وهو ممسك بيديها وسعادة عارمة تبدو على ملامحه وهو يصرخ بصوت يملأه الفخر:

ـ أنظري بعينيك، لم أنكر من في السماء، فقط جعلت الدماء تسيل باسمه.

وفي لمح البصر يختفيان مبتعدان عن قذيفةٍ سقطت في نفس المكان الذي كان يقف عليه...

ضحك ضحكة عاليةً مدوية، هزت أرض المعركة فوق هزة القذائف...

من فوق السماء يحلق بها وهاله حلزونية نارية تحيطهما، يريان المشاهد بصورة بطيئة رغم السرعة التي ينطلقان بها، فوق قارة بعيدة اكتشفت في القرون الحديثة، مرا فوق تمثالها الذي يجسد كل معاني الحرية، وقفا على شعلته وهو يتأملها بنظراتٍ بها جميع فتن الخلقين، ويحتضنها بشدة وهو يهمس لها والسحب تتكثف من فوقهما غيوماً وقطرات الأمطار تنهمر عليهما، الصواعق تضرب بشدة من فوقهم :

ـ أعتقد أن السماء بدأت تغضب.. هذه الأرض أنا من أنار لمستكشفها الطريق عبر السماء، جعلتهم يبنون حلم إنسانيتهم على دماء بشر مثلهم.. المراهنات، البورصة، القوة، كلمات زرعتها في تلك

الأرض.. جعلتها منارة لبث الشرور وكلٌّ يفعل ذلك من أجله ليس من أجلي أو من أجل تمجيدي .

ينزع يداه من حولها ويبتعد قليلاً، ينظر إلى السماء وهو يكمل كلماته :

– ما رأيكِ ليليث؟ هل تعتقدين أن الحياة ستستمر هنا؛ على هذه الأرض؟ تعتقدين أني أهتم بهم، لقد أوشك زمن البشرِ على الإنتهاء..

يضحك مرةً أخرى وهما يشتعلان رغم هطول الأمطار بغزارة، ويحلقان مرة أخرى في السماء...

ينطلقان كشهاب اخترق الغلاف الجوي، مرا من فوق جزيرة عربية،انتفضت ليليث، عندما شاهدت تلك الحجارة السوداء التي تظهر من تحتهما، جسمها مازال يرتجف، يضحك إبليس وهو يحدثها بهدوء حتى تهديء من توترها:

ـ لا تخافي لن أخذك للداخل .. هنا أنا أيضا مسيطر، الخالد فقط من يستطيع أن يدخل تلك المدينة، السرقة والقتل والزنا جرائم أجعلهم يفعلونها هنا أيضا .. فلا تقلقي.

أنهى كلامه وهما يمران بجانبها بسرعة البرق ويحطان بين الجبال في بلد تقع في قارة أغلبية بلادها من السواد، الجبال عظيمة والليل يحيطها، صحراء كبيرة...

وقف يطالع السماء والنجوم من فوقهما وهو مازال يمسك يد ليليث المندهشة من حديثه وأسلوبه، فجأة ترك يدها ونظر إليها وعيناه تتوهجان وهو يحدثها :

ـ ما رأيك بهذه الجولة، ألا أصلح كمرشد سياحي؟

ضحكت ليليث بدلال وهي تتقدم نحوه في أبهى صورة بشرية وتمسك كلتا يديه وهي تهمس له بصوت بشري ناعم من نفس لهجة تلك البلد:

ـ أنت مليكي منذ أيام هابيل، أيها الملاك الساقط.

يبتسم لوسفير وهو يضغط برفق على كفيها ويتلاشيان ببطء، ويظهران فوق أحد قمم الجبال هناك، يطالعان القمر وهبوب الرياح الباردة...

يلتفت إلى الجبل...

– لقد كلمه "موسى" هنا، من هذا المكان و لم يصدقوه.. لم يتكلم معه أحد مباشرة سوى أنا وهو...

يصمت قليلاً وكأنه ينفض سيل من الذكريات الأليمة من رأسه ويكمل وهو يستنشق الهواء ويشير إلى قبة ذهبية تلمع من هناك..

– أتعلمين... من هناك ستبدأ بداية النهاية.

تتقدم ليليث نحوه ببطء وتضع يدها على كتفه وهي تحدثه بصوتٍ ناعم :

. أيها الخالد المبجل، أعلم أن ما هو ظاهر هو أنك تريد أن تعيد الأرض إلى معشرنا.

يلتفت لها لوسفير يتأملها وهي تتابع حديثها وقد اقتربت من وجهه:

. و باطنك الانتقام.. تكبرك وعنادك دائماًسبباً في خسارتك...

يزيح يدها عنه وهو يحدثها بلهجة سخرية :

. الحرية والديمقراطية في رحلتي مسموحة،إنها آخر ليلة فتكلمي وأخرجي ما بداخلك...

قالها وصمت لبرهة يطالع ليليث التي قطبت حاجبيها، وعيناها تتوهجاناًكثر متابعاً حديثه :

- لا تقلقي ستفهمين بعد انتهاء هذه الجولة، أم أنك مللت من البشر.

همت أن تنطق لكنه أوقفها بإشارة من إصبعه وتابع:

. دعيني أريك كيف تنتشر الخرافات في تلك البلاد عنا ويتناقلون قصصها ويصدقونها، سأريك معنى تلبيس الواقع بالهرطقات ..

صدي ضحكات مخيفة يتردد في المكان بعد أن اختفيا في غمضة عين بعد إنهاء عبارته.

**

منزل كبير تحيطه منطقة زراعية وحوله منازل قليلة تتألف معظمها من دورين أودور واحد، في قرية من قرى تلك المدينة، وداخل المنزل الكبير المكون من دورين وحديقة كبيرة تحيطه، منزل لشخصية من أغنياءالقرية...

وقف صاحب المنزل في الداخل في غرفة واسعة وصراخ عالٍ مرعب في المنزل وهو يحدث زوجته :

- البنت حالها أصبح يرعبني.. لا شيوخ ولاأصحاب كرامات نافع ولا قرآن ...

-استغفر ربنا يا شيخ، هو جني شديد القوة فقط، ممكن يكون مسيحي ويريد كلماته ليحترق.

قاطعها غاضبا :

- تقولين لي أنا أنأستغفر الله.. ماذا تقولينأنتِ كلمات قرآننا لم تحرقه...

- فقط نجرب.. عام ونصف لا علاج ولا أطباء استطاعوا فعل شي يا حاج، جارتنا أخبرتني عن راهب يدرس اللاهوت وأنت سمعت، كثيرون من قالوا لك "لاهوتي" اسم الجن .

- يهز رأسه قليلا يحاول أن ينفض من أفكاره ما تحدثه به زوجته وصوت الصرخات يتزايد من إحدى الغرففي البيت...

في ركنٍ بعيد في الغرفة، يقف لوسفير وبجانبه ليليث ترى المشهد وهو ينظر ويشير لها بأن تتابع وهو ينفث زفيره في الهواء، وعندها رفع الرجل رأسه نحو زوجته قائلا بهدوء... بعد صمتٍ هدأ من غضبه وسط تلك الصرخات المتتابعة من منزله:

- موافق يا حاجة، لكن دعيه يأتي الآن وهي زيارة إن لم يستطع فعل شيء، فسنذهب بها إلى القاهرة ..

ـ لا تقلق يا حاج هو يعمل في القاهرة و اليوم إجازته، وينتظر أن نهاتفه، جارتنا حكت له كل شيء .

يهز رأسه بالموافقة، لم يمَضِ الكثير من الوقت والرجل يقف منتظراً، وهو ينظر إلى الساعة التي تدق معلنة منتصف الليل، والمرأة تهرول من جانب لوسفير وليليث وتفتح الغرفة وتأتيبالقِس، يضحك لوسفير ضحكة خفيفة وهو يشاهد الرجل الذي جلس على السرير ووضع رأسه بين كفيه منتظراً ما سيحدث، يمسك يد ليليث ويشدها لكي يتحركا نحوه وهما يخترقانه، ينتفض جسده بخفة وهما متوجهان إلى خارج الغرفة.

يحدثها بسخرية:

-أعتقد أنك طوال سنوات هروبك لم تزوري هذه المناطق، معارفك أكثرها منالأوروبيين.

غمزة من عينيه وهو ينظرإليها أثناء خروجهما من الغرفة ببطء متوجهان لغرفةٍ أخرى ويتابع حديثه كأنه مرشد ويشرح لسائحته:

ـ هنا العالم الثالث، الجهل المختلط بقليل من العلم المحدود .. حتى في معتقداتهم جعلتهم يتخبطون ..

دعيني أريك جحافل جيوشي كيف تمرح هنا.

سكت عن الكلام عندما أصبح أمام باب غرفة تنبعث منها الصرخات والضحكات صوت لا تستطيع تمييزهإن كانلأنثى أم لذكر من غلاظته.

ـ هل أنت جاهزة لنرى ماذا يحدث بالداخل قبل أن يأتي المنقذ .

أنهى عبارته وهما يخترقان الباب ويدخلان غرفة متوسطة الحجم، بسيطة المظهر، سرير يتوسطها عليه طفلة تعدت عقدها الأول بسنة أو سنتين لا أكثر، يداها مربوطتان في صواري السرير من خلفها، قدماها أيضا مربوطتان بنفس الطريقة، تزمجر باستمرار وهي تبحلق بهم، وتلتفت يمينا ويسارا، وكيانات كثيرة من حولها في الغرفة،

منهم من يجلس داخل مرآة يتغير سطحها بمشاهد وملامح مخيفة تطالع الفتاة على السرير، وعلى جميع الصور كائنات نارية تستلقي وتتحرك داخلها، وفوقها كيان بشع يتدلى من السقف، قدماه متعلقتان بالسقف كخفاش عملاق بوجه مخيف ينظر إلى الفتاة بعينين مرعبتين جاحظتين ثابتتين نحوها، وهي تنظر له وتصرخ صرخات تهز المنطقة

والمكان، وقف لوسفير أمام السرير وليليث مازالت متمسكةبيده وهو يتحدث ويهز رأسه :

. لا يصدقون ما ترى.. فتاة تحرش بها كثير منأقاربها.. لم تخبر أحدا إلا نفسها، وجيوش أجاريس يلعبون هنا في هذه المنطقة على النفوس بجدارة، لعبوا في رأسها ومخيلتها، سمحوا لها أن تراهم كالهلاوس، يحدثونها، وأحيانا يخيفونها، والجميع يكذبها صارت مجنونة ليليث رغم أنها لا ترى إلا بعض الحقائق...

التفتت له ليليث وقاطعته بدلال:

– حقيقة أنا فرحة هذه الليلة.. شاهدت ذلك في أوربا.. لكن هذه المنطقة لها سحرها وسحرتها..

ضحكت بعدها لثانية بخبث ودلال وهي تلتفت إلي الفتاة التي كانت تحملق بهما وهي تتابع كلماتها:

ـ هل ترانا مولاي!

ـ نعم، كخيالات، و تسمع وسوستنا، أغبياء هولاء البشر يعتقدون أن الكلمات تقتلنا وتحرقنا ..

لا أعلم كيف يعتقدون بقدرتهم على السيطرة على شيء لا يرونه، يعتقدون أن عقولنا مثل عقول أطفالهم، نحن لا نستولي على أجسادهم .. بل أرواحهم هي هدفنا.

بعد إنتهاء عبارته يدخل ذلك الراهب بصحبة أحد معاونيه يتوسطان الرجل وزوجته التي كانت تحدث الراهب كبير السن بملابسه الرهبانية السوداء وذقنه البيضاء، الصليب معلق على رقبته:

ـ هذه هي ابنتي كما حدثتك تفعل أشياء غريبة وترى أشياء لا نراها أو نسمعها، حتى الحشرات كانت تأكلها، لذلك قمنا بربطها...

أشار الراهب لهما بيده وهو يتحدث بهدوء:

– أيها الكريمان لا تقلقا، هذه الجلسة ستكون سراً بيننا، نعلم الوضع الديني لكم، أنا أرى شيئا هنا يتملك ابنتكم وباسم الرب سنخرجه،

هل من الممكن أن تخرجان، من المحتمل أن يكون كياناً قوياً، ويستغل خوفكما.

بقلق يمسك الزوج يد زوجته ويتوجهان للخارج، عينا الراهب تطالعه حتى أغلق الباب، يناوله المساعد وشاحا حريرياً أحمر اللون، يضعه الراهب حول عنقه وهو يمد يديه، يمسك الكتاب المقدس من يد مساعده، وباليد الأخرى ينزع الصليب من حول رقبته ويقبله ويتجه نحو أحد جانبي السرير وخلفه المساعد يحمل كتابه المقدس أيضا مرتدياً نفس الزي الأسود، ومن خلفهما يتبعهما لوسفير وليليث ببطء حتي توقفوا بجانب الفتاة، يفتح الراهب الكتاب على نفس الصفحات مع مساعده ويضع الصليب على رأسها وهي تنتفض، تصرخ بعنف ورأسها يتلفت يمينا ويساراً.

يحاول الراهب أن يثبت جبهتها بكفه ويضغط على الصليب وهو يتمتم بلغة لاتينية، ومساعده يردد ما يقوله، تراتيل بصوتٍ منظم، لا يخشى الصراخ ولا التأوهات والزمجرة التي تخرجها الفتاة..

يصفق لوسفير عند تلك اللحظة، تلتف الكائنات جميعاً في الغرفة وتتشكل في كيان واحد؛ ذلك المعلق في السقف ليتوهج ويتقلص ويصير مثل الخيط الطويل يهبط بسرعة ويدخل فم الفتاة، تشهق وتنتفض، عيناها تنقلبان إلى اللون الأبيض، جسدها يتقوس ويرتفع قليلا عن سطح السرير، الصوت يتحشرج كأنه يخرج من مئات الأفواه في وقت واحد .. كفي .. سأخرج .. سأخرج .. لن أعود.

تصفيقة أخرى من لوسفير يخرج من فمها ذلك الخيط دون أن يراه أحد ويتوهج في السماء ويختفي تماماً، تسقط الفتاة بجسدها على السرير، تعود عيناها إلى طبيعتها،دماء تسيل من شفتيها، تتأمل الراهبان بوهن شديد كأنها كانت في معركة قتالية بالجسد نالت منها ضرباً مبرحاً وهي تخرج صوت رقيق ضعيف، وهما يواصلان تراتيلهما:

- من أنتم، أين أمي وأبي..

توقف الراهب ومساعده مازال يرتل بصوتٍ خافت وهو يتلفت حوله وليليث ولوسفير بجانبه يبتسمان بسخرية.

يمسح الراهب على جبين الفتاة وينادي على والديها.

. هذا هو درس تلبيس الحقائق، خلطها بمعتقداتهم، الحرب النفسية عزيزتي، هيا دعينا نذهب الى مملكتك الأوربية التي ترعرعت بها آلاف السنين.

أنهى عبارته وهما يتبخران من الغرفة حتى اختفيا تماماً من المكان.

***

قارة أوروبا، غيوم تحيطها السحب، ضباب كثيف، يشقه بسرعة رهيبة وهج لا يرى بالعين البشرية يسير بسرعة كبيرة، يحلق فوق سحاب تلك القارة الباردة، ابتداءاً من جبال البلقان،حتى قمم الألب الساحرة، مرا بالأنهارالجارية والسهول الخلابة...

تتمسك ليليث بلوسفير سعيدةً منتشية، وسط الهالة النارية التي تحيط بهما،عيناها تتنقلان ما بين الطبيعة الهادئة والأجواء الأوروبية الحميمة، ما بين مبانٍ عصرية وأخرى كلاسيكية...

- ما رأيك بهذا؟ أعلم أنك تحبين أوروبا، وكم تسكعت مع البشرِ في روما وباريس واسبانيا، عاشرتِ رجالاً في كل العصور من جميع الجنسيات والطبقات، فلاحون... فرسان... أمراء وملوك...

حتى ذلك الرسام أعطيته علم طرق التشفير، لم تتركيه في حاله أيتها الشقية... قالها وهو يضحك ضحكة ساخرة ثم أكمل:

- كيف يمكن أن نحدد جنسيتك وانتماءك؟

تعلو ضحكته الساخرة، تقطعه ليليث محاولةً ألا تبدو مستاءة:

- يعلمُ مولاي أني كنت مضطرة لذلك، البشرُ مملون جدا، استخدمتهم فقط للبقاء، ربما أضعفني ذلك، لكن أُأكد لمولاي أنّي شيطانةٌ، لا أنتمي إلا لمولاي المبجل لوسفير بن سوميا، وحتى آخر نسخةٍ لي لن يكون ولائي لغير مليكي...

أكمل لوسفير جولته متجاهلا كلامها،ولم يعقب على الموضوع.

- إذن دعينا نكمل جولتنا؛ ما رأيك أن نذهب إلى تلك الجزيرة التي حكمت العالم من الشرق إلى الغرب ذات يوم...

لم ينهِ كلامه ولم ينتظر رداً؛ بل بطرفةِ عينٍ كانا في لندن، بالتحديد كانا جالسين بجسدين بشريين، في تلك العجلة الشهيرة التي تطل على نهر التايمز.

بدأ الدولابُ بالدوران حول محوره بحركةٍ بطيئةٍ، يطالعان معالم لندن التي يمكن رؤيتها من مكانهما الذي يسمح برؤيةِ كثيرٍ من الأشياء حتى مسافة أربعين كيلومتر بالنسبة لعين البشر وعدسات آلاتهم التصويرية الرقمية بكل ما تملكه من تطور.

- الجميع يلتقط الصور.. ألا ترين العدسة؟

ألا تذكرك بالعين.. تريك الذكريات.. الأموات.. تعلمين أن في هذا العصر يستطيع الإنسان أن يرى من مات، صنماً على الحائط، و يتحرك ويذكره بالماضي على ذاكرة الآلات المرئية المتحركة..

برامج التزييف نحن من صنع علومها.. أليس كذلك يا طفرة العلم في الكرة الأرضية.

صمت وهو يضحك ضحكة قصيرة بابتسامة سخرية، ويشير نحو بعض المعالم البارزة الشهيرة أثناء دوران ذلك الدولاب على عجلة تحمل إثنانوثلاثين كابينة، حولهما أكثر من خمسة عشر ألف بشري من سائح إلى مواطن، خليط من جميع الأجناس.

كانت تمر من أمامهما ببطء كاتدرائية تسمى "سانت بول" ولوسفير يشير نحوها:

- لهذا سُميت "عين لندن"، حقاً يدهشني هذا الإنسان الضعيف، الخوف يسيطر دائماً.. المجهول من أمامهم، وأنا من خلفهم، وأنت وجنودي على يمينهم ويسارهم.

قالها لوسفير ضاحكاً وقصر وستمنسترووقلعة وندسوريظهران أمامهما من بعيد وهو يتابع:

- من الجيد أننا نستطيع التجسد بأي حجم وأي شكل،ليتسنّى لنا تجربة هذه الألعاب البشرية الممتعة، ابتسمي، فقد نظهر صدفة على إحدى العدسات الرقمية...

يضحكان معا ثم يتابع كلامه:

- ألا تشبه هذه العجلة بمبدئها هذه الأرض، تدور وتدور و تدور لكنها ثابتة لا يشعر بها البشر لضآلتهم وضعفهم...

تنظر ليليث وتتابع فقط بصمت، وهو يتابع :

ـ العين ينطلق منها الحقد.. الحسد.. السحر، فقط هم يتمنون ونحن نلبي دون تدخل.

أنهى عبارته، وظلا يراقبان ما يفعله البشر حولهما، وهما يرسمان ابتسامة سخرية وشفقة على شفتيهما حتى توقفت العجلة، وكبقية السياح نزلا من الكابينة التي لم يلاحظ أحد تواجدهمافيها من العدم...

سارا وسط البشر، وفي الزحمة بدأت أجسادهما تتموج وتختفي من وسط الجمع الذي لم يلحظ شيئا كأنهما وسط عالم لا يسمع أو يرى.

فيلحظةٍ أصبحا بمكانٍ آخر، بالتحديد بالقرب من قصر باكنجهام؛ حيثُ يمرّ موكبٌ احتفاليّ لملكة انجلترا على عرباتٍ ملكية مذهبة، تجرها خيولٌ من أعرق السلالات الأصيلة، ألجمة مذهبة فاخرة تحيطها ...

ينطقُ لوسفير محدثا رفيقته الشيطانية التي تقف أمامه والموكب يقترب من بعيد بصهيل خيولها:

- "الملك" لقبٌ أغريت به البشر؛ القوة والجاه والسيطرة، الملك والحكم والوراثة، وكلها باسمِ ... (لم يقُل؛ بل رسمَ بإصبعه السبابة على الهواء علامة الصليب)

قربها نحو جبهته أكثر، وجسمه ينتفض وهو يتمتم بلغة أرامية سحيقة لثوان، وفجأة يتوقف جسده عن الانتفاض ويضحك بقوة ثم يتحدث بلهجة أقرب للعواء وصوت مخيف :

- يحاربوني بكلمات... الحرب معي من هنا..

وضع يديه ناحية قلبه ويده تغوص إلى داخل بدنه، ويخرج القلب البشري الذي تجسده ويرفعه في الهواء وهو يتابع حديثه بنفس النبرة :

- القلب؛ يجب أن تأتي الكلمات من هنا،الإيمان في الداخل، أنا فقط أنتزعه منهم كما أفعل الآن.

في هذه اللحظة يعترض لوسفير وليليث الموكب، تهتاج الخيول وترتفع قوائمها رعباً وهلعا، يرتبك الحراس ويلتفتون يميناً ويساراً ويحيطون عربة الملكة لحمايتها من خطرٍ محتمل...

يضحكُ لوسفير وهو يقول:

– انظري، الحيوانات بصيرتها أشد من بصيرة البشر، ترى وتدرك الأخطار أمامها أكثر من تلك العقول البشرية...

ضحكاتٌ مفزعة تدوي في ذلك المشهد الهائج المرتبك، وتموج الأرض تحتهما وتختفي...

لتجد ليليث نفسها على ذلك السرير الملكي في الجناح الخاص للوسفير، في مملكته الجحيمية...

***

أضواءٌ نارية ساحرة أضاءت الغرفة الملكية، كأنها ملايين الشموعمضاءةً في مشهدٍ رومانتيكي فانتازيّ مجنون، يدور السريرُ حول نفسه تحيطه النيران من كل جانبٍ لتضيفَ سحراً على ذلك الجسدِ الأنثويَ المتدفق رغبةً و إثارة، ليليث في أبهى صورها، وكأنما تلخصت فيها كل نساء البشر والجن، كائنٌ تجسّد من الفتنة والسحرِ والغواية التي لن يحتملها أيّ بشريّ مهما بلغ إيمانه...

حيّاتٌ تتراقص حولها كأنها تحتفل بفحيحها الذي اختلط بمزاميرَ أخرى، مزاميرُ وألحانٌ من عالمٍ السحر الملعون...

ولوسفير بجسدٍ لا بشريّ ولا شيطانيّ، جسدٌ فاتن، قويّ، مسكونٌ بالهيبة والجمال، لم تره عين إنسٍ ولا جنّ، وكأنّه تجسّد لأولِ مرةٍ احتفالاً بهذه اللحظة... وبوجهٍ وملامح قريبة من تفاصيل البشر، عينانِ حادّتان تشعّانِ ناراً، وأنفٌ دقيق كأنّه منحوتٌ بعنايةٍ كتماثيل "فيدياس" أشهر نحاتي الإغريق... فمٌ مرسوم بمهارةٍ لا تضاهى يجمع

الفتنة والقوة والصرامة، تقاسيم الوجه بارزة بقوة، يغطي النصف الأيمن لوجهه شعره الأسود الطويل المسترسل...

فتنتان تجتمعان بنظراتٍ لاهبةٍ متواصلةٍ لا تهدأ، يبدأ لوسفير بلمسها، يحتضنها، ثمّ قبلةٌ تشعل الجحيم أكثر، تنطفئ النيران إلامن حولهما، يدورُ إعصارٌ حلزونيّ ضخم يحيطهما في الداخل، يتماوجان داخله كسمكتين يتراقصان على أنغام مزاميرهما السحرية، يتبدل الجسدانِ بهيئةٍ مهيبة وتتغير ملامحهما، تظهر أجنحتهما الشيطانية لتغطيهما، يلتحمان ببعضهما بقوة، يلتفان حول بعضهما، كما يلتف ذلك الإعصار الذي يسير في الغرفة وتصل نهاية فتحته سقف الغرفة، أجنحتهما تلتف حول بعضهما كشرنقة وهما بداخلها، كأنّما أصبحا كياناً واحداً داخل إعصار يضرب بأقوى مقاييس رييختر الجحيمية، يومض فيالظلام بلقطاتٍ حميمة ساخنة، لحظات تجلٍ في ثورة اشتهاء

ماجن، بطريقة عالمهم الناري بين الشيطان وأنثاه الفاتنة، شيطانة الغواية التي فتنت ملك الفتنة، الخالد الملعون ذاته...

فجأة، في لحظةٍ لم تكن متوقعة، يختفي الظلام، وتشتعل النيران في الجناح بدخول "بعال" ، يتلاشى الإعصار، وتسقط ليليث أرضاً، ولازال جسدها يومِضُ اشتعالاً، يلتفُّ حوله سبعة عشر من الجحافل على شكل دائرة، ويبقى في الوسط "لوسفير وبعال".

يصرخ " بعال" بصوتٍ مرعب:

- فارجاس ..

تخرج سياط معدنية متعددة مشتعلة تسير من داخلها طلاسم مبهمة تتراقص داخل نيرانها من كيان فارجاس من خلف لوسفير، تكبله و تحيط بين إبطيه في لمح البصر، وأخرى تلتف حول عنقه، ونيران

تزحفتسلسِل ذراعيه وقدميه، حتى جناحيه اخترقتهم تلك السياط ومرت من خلالهما لترشق في الأرض...

كل هذا تم في ثانية من زمان البشر، حاول لوسفير أن يتحرك بعد ان ارتسمت على ملامحه أقسى علامات الغضب وبعال يصرخ بكلمات مصاحبة لفارجاس ليختلطوا في مزيج غليظ يصحابه مزامير وقرع طبول منتظم:

. بحق الكاف والنون ..ايوم .. مايبولا .. اينيي يوس .. زيمينيار .. ايميامون .. ايميامون .. ايميامون .. ايميامون .

أخر كلمة ظلت ترددها الكيانات المتراصة على شكل دائرة يتوسطهم ابليس الذي يصرخ بغضب وهو يحاول أن يتحرك لكنه لا يستطيع؛ كأنه حبس في شيء غير مرئي .. حاجز يحول بينه وبين التحرك...

– لا .. لا .. خونة .. هل علمكم ذلك أبناء الطين ..

تلك الملعونة لم تكن مخطئة إذن.

يتلفت برأسه وينظر إلى ليليث الملقاة على الأرض بجانبه تتوهج بالنيران التي تتسرب كل جزء من جسمها، كنارٍ تسير في الهشيم، جسدها يشتعل ويرتفع في الهواء، تتطاير رماداً حوله، يبكي لوسفير وهو يتأمل ما يحدث..

دموع تجمدت ولم تسقط طوال حياته، سقطت أول قطرة منها لتلامس الأرض وهي تشتعل..

يصرخ به بعال:

– أدركتَ أنك ضعيف مثلهم.. أتعلم ماذا فعلت بنا، لقد نفذت ما تريد .. الخلود أيها الخالد، كيف تلاعبت بك...

المملكة لن تستوعب أن يكون بينها خالدَين.. لقد أنجبت ليليث الخالدة أيها المغفل.

نظر إلى الجحافل من حوله والشرريتطاير من عينيه:

. اليوم أنا ملك ملوك الجحيم.. تعاهدنا على عهودنا القديمة لتحقيقها .. وها هي تتحقق.. إنّه الاجتماع السابع أيها المتكبر.

ينظر بعال إلى فاساجو وهو يتابع كلماته وسط ذهول لوسفير الذي يركع بعد أن خارت قواه في وسط الدائرة وأمام "بعال":

. أيها الحكيم فاساجو أعتقد أن الحرب ستبدأ لاستعادة الأرض والتحالف مع المنتظر.

صمت لبرهة وهو ينظر إلى لوسفير وتابع :

. وماذا سيكون حكم مجلسنا على ذلك الخائنأيها الحكيم المبجل.

أجاب " فاساجو" بهدوء وبلهجة بها صرامة:

ـ لقد بايعتك جميع الممالك من شمالها إلى جنوبها وما فوق أرضها وما تحتها..

وقد قررنا حبس لوسفير مسلسلا في المطهر الجحيمي، كما سُلسِل من قبل بكلمات السماء التي مُنحت للبشري سليمان قديماً.

يصرخ لوسفير وهو يتلفت بوجهه في الناحيتين:

ـ فاساجو .. فارجاس .. بايمون .. أنا الخالد المبجل .. لوسفير بن سوميا أبي الجن ...

يقاطعه ظهور سالوس حارس المطهر أمامهم في الغرفة وهو يصرخ :

-مصيبة كبيرة حدثت.. تلك الشيطانة أطلقت البعوض في المملكة وحررت أسرى الكيانات الزرقاء العاصية، الحرائق والمعارك بدأت بين قبائلنا داخل المملكة أيها الملك "بعال" .

لوسفير ينظر لهم مصدوماً كما هم أيضا، يتملكهم نفس الشعور، وقبل أن ينطق بعال تخترق ضحكات أنثوية المكان ..

ضحكات ميزها جميع من في الغرفة.. ضحكات تلك الملعونة التي أصبحت خالدة بمعاشرتها الخالد لوسفير الذي يصرخ بقوة وهستيريا وهو راكععلى الأرض :

ـ لا لا، لن تعود أيام سليمان .. لاااااااا .. لاااااااااااااااااااااااااا

ظلت الصرخات تدوي وتدوي بجنون، غير مصدق ما يحدث...

***

فجأة ينتفض لوسفير من على عرشه، وهو ما زال يصرخ، فتح عينيهوهو يتطلع حوله فزعاً ورعباً...

في غرفته الملكية يقف، يطالع المكان أمامه، الذي يحوي جميع أنواع الأثاث البشري القديم والحديث، جميع ما قد يتخيله عقل البشر ومالا يخطر على بال موجود داخل تلك الغرفة المهيبة...

أسلحة معلقة على حاملات من اللهب، مكتبات بأشكالٍ أسطورية، لم ترها عين بشرية من قبل، تحوي المخطوطات والكتب التي خطتها الأيادي البشرية والنارية...

التفت إلى عرشه الذي تسير من تحته مياه زرقاء صافية تحيط الغرفة بأكملها،ألقنظرةً على سريره الملكي المزخرف بأشكال حيوانات متعددة يتخللها الزمرد والياقوت...

رفع حاجبيه باندهاش وهو يتأمل فراشه الخالي بهيئته المتجسدة البشرية في أبهى وأنقتجسيد لبشري، على رأسه تاج ذهبي تعلوه سبعة ثعابين مشتعلة...

بعد أن تفحص غرفته الملكية الخالية من أي مخلوق، هدأ وبدأ يحدث نفسه:

- هل نمت؟ أنا لم أغفُ من قبل، حلمهذا أم كابوس، من يستطيع التلاعب بلوسفير في هذا العالم...

حديث كان يدور بينه وبين نفسه، وهو يقطب جبينه ويلعن تلك النفس التي بداخله التي تحيره دائما بأسلتها وتلاعبها الخبيث بعقله، ينفض رأسه وهو يصرخ بقوة:

- قبقب ..

وقبل أن تنتهي عبارته كان راكعا أمامه بخشوعٍ وتبجيل، جحفل كيانه ناريّبجناحين مشتعلين ورأسين منحنيين يموجان ويتبدلان ما بين الخفاش والبومة...

- هل تلاعبت بمخيلتي وأحلامي لتنبهني من غفوتي يا ملك الأحلام الشيطانية.

بكل هدوء وبكلماتٍ تدل على الخشوع أجابه:

- من يستطيع التلاعب بالخالد المبجل، ملك الجحيم ومفاتيح أبوابة السبعة.

أشار إليه بالنهوض وأراد أن يقول شيئاً؛ يقاطعه ظهوركيانٍ ناري مهيب ملامحه غير واضحة من توهج النيران من حوله، وهو ينحني أمام لوسفير بتحية ملكية، يقف مجدداً ثم ينطق:

- لقد تم القبض على ليليث الملعونة مولاي الخالد.

توهجت عينا لوسفير وهو ينظر إلى الجحفل المتمثل أمامه، ويشير إلى قبقب إشارة انصراف، يختفي لحظتها، ويتحدث بصرامة :

- تلك الملعونة...اقتلها بيدك يا ملك المطهر الجحيمي.

- لكن ..أنا أقترح أن نعقد مجلساً ...

قاطعه بحزم لوسفير وهو ينظر إليه بغضب:

. أنا ! .. ألا تعلم أنهذه الكلمة مفتاح الكبر والغرور أيها الملك .. وأنا فقط من يملك مفاتيحها، ستنفذ الحكم هنا والآن ...

انحنى بعال وهو يقول :

- تحت أمر مولاي، نحن في خدمتك وفي خدمة عهود مملكتنا الجحيمية وحاكمها ومليكنا الخالد.

ابتسم لوسفير ابتسامة زهو وهو يولي ظهره لبعال الذي صرخ مناديافارجاس، الذي يظهر في آخر الغرفة وهو يرتل كلمات مبهمة على مزاميرسحرية تصدر مع حروفه، ممسكا بسلاسل ضخمة تتوهج النيران من خلال معدنها المتفحم الذي يسلسل ليليث وصوت

سلاسلها اللهيبية يطرقع بوهجٍ وشرر مع احتكاكه وملامسته للأرض التي تحيطها المياه والثعابين المشتعلة تعوم داخله...

يبتسم لوسفير وهو يُخرج من جانبه من الفراغ سيفاً ناريا مصقولا يلمع وسط ذلك العالم المظلم، تمر الطلاسم والكلمات داخل نيرانه، تتشكل وتتبدل بلغة لم يكتب على البشر أن يفهموها أو يعلموا عنها شيئا، رفع يده التي تحمل السيف الأسطوري القادم من عالم سفلي جحيمى، واشتعلت المزامير والآلات الوترية التي لم تسمع لإيقاعتها أذن بشرية من قبل...

طوّح سيفه في الهواء وهو مايزال يدير ظهره لجحافله، ويطالع العرش، طار السيف في الهواء وتأرجح قليلا قبل أن يتلقفه "بعال" بخفة ويتقدم نحو ليليثعلى أنغام إيقاعات لوسفير الساحرة، و فارجاس ينظر لبعال باندهاش ويلتفت إلى لوسفير قائلا :

- مولاي الخالد، انظر، إن ليليث...

قاطعه لوسفير بأن ضم قبضتي يديه التي ما زالت في الهواء وهو يصرخ بحزم :

– افعلها معه يا فارجاس، يا ملك الكلمات السحيقة، اقتلوها.. لقد قضي الأمر.

أنزل يديه وعند تلك اللحظة مزامير فارجاس تنطلق وتندمج مع إيقاعات الخالد في منظر لن يتكرر في تاريخ العالم السفلي، وتنطلق تراتيل ووساوس سحيقة ، تردد عبارات متكررة بعدد لا يحصى يهمس في عقل ليليث، التي كان خط أسود يسير كحيةٍ بين نيران كيانها، والسيف يشق الهواء نحو رقبتها وهي تحترق وتشتعل كجمرة أوشكت على التفحم، وعند ملامسته عنقها، شقه بعنف لتطير رأسها التي ترتسم عليها ابتسامة خبيثة في الهواء وتدور حول نفسها وهي تتفحم وتتلاشي رمادا يتطاير في الغرفة، وينتشر حتى يصل إلى لوسفير الذي

كان يطالع عرشه،يمر فوقه الرماد ويتخطاه، يرفع عينيه فوقه وينظر إليه لتجحظ عيناه، تتغير ملامحه...

ينطلق صوت ضحكاتٍ جنونية أنثوية توقف مزاميرهم ووساوسهم التي تملأ أجواء الغرفة الملكية...

يتردد صدى الضحكات ويعلو وهو يتكرر مراتٍ عديدة بقوة وعنف وبسخرية واستهزاء...

يلتفت معها لوسفير خلفه وهو يطالع فارجاس و بعال، وكيان ليليث الذي تفحم وصار رمادا متطايراً في الغرفة...

نظرات ذهول ودهشة ترتسم عليه وهو يتأملهم، وقبل أن يتكلم، يظهر من العدم أحد جحافله في الغرفة وهو يصرخ:

– لقد وجدوا "فاساجو" مقتولا وسط دائرة مرسومة وطلاسم ليليث الشيطانية حوله.

تنطلق الضحكات في الغرفة مرة أخرى تصاحبها مزامير سحرية وإيقاعات ملعونة تتغلغل داخل عقولهم ونفوسهم في آن واحد وهي تردد كلماتها بصوتٍ أشبه بفحيح حيّةٍ مرعبة:

- صدق أحلامك... ستتحقق قريبا.. لا تثق بأحد أيها الخالد المبجل.. سيثور جحيمك من الداخل كما علّمت البشر كيف يثورون.

ضحكات تبتعد وصداها يستمر ويستمر وسط دهشة جميع من في الغرفة الملكية أمام عرش لوسفير الخالد بن سوميا.

" تمت "

الخاتمة

هل تؤمن بالنهايات؟

نحن لا... فما النهايات إلا بداياتٍ جديدة... لحكاياتٍ جديدة...

تتشابه الحكايات... وتختلف بعض التفاصيل...

وما نقلناه هو نصف الحقيقة... النصف الآخر ما زال في جعبتنا...

نحتفظ به لتشويقك وإثارة تساؤلاتك... فقد تعلمنا ألا نلقي بكل ما لدينا في سلةٍ واحدة...

لكن حاول أن لا تسأل كثيرا... فبعض الجهل نعمة!

الآن علينا أن نرحل من هذا المكان...لنجد مكانا آمنا

لماذا؟! لأننا نخشى أن يقع كتابنا هذا بين أيديهم...

وحقيقةً لا نعرف إلى أين نذهب...

نستودعك الآن لأننا نريد الاختفاء... فهم لا يريدون أن يعرف أحدا حكايات ثوراتهم في ممالك الجحيم..

***

محمد المخزنجي

مُكرّم خلف



رواية

ألف ليلة في الجحيم

لكن حاول أن لا تسأل كثيرا... فبعض الجهل نعمة!
الآن علينا أن نرحل من هذا المكان... لنجد مكانا آمنا
لماذا؟! لأننا نخشى أن يقع كتابنا هذا بين أيديهم...
وحقيقةً لا نعرف إلى أين نذهب...
نستودعك الآن لأننا نريد الاختفاء...
فهم لا يريدون أن يعرف أحد
حكايات ثوراتهم في ممالك الجحيم..